العدد (٧) - صفر ١٤٢٩هـ - فبراير ٢٠٠٨م

# الصوفية

إضاءة لتزكية النفس وتصحيح المسار



## مهرجان صوفي بالجزائر لموسيقى العيساوة الوثنية الأصل




نشأته ، ثقافته ، أفكاره

في مؤسسة داود الحمراء

## تحالف

## يهودي نصراني صوفي



## وقفات

## مع المولد النبوي

## الكونجرس الأمريكي

يدعم التيارات الصوفية في البلاد العربية

بسم ا   الرحمن الرحيم

# في هـذا العـدد



متابعات



# إنهم يكيدون كيدا

لئن كان سقوط الخلافة الرسميّ عام (١٩٢٤م) أهمَّ حدث في مسار المسلمين في القرن العشرين، فهل يُمكن اعتبار ما وقع في الحادي عشر من أيلول (٢٠٠١م) أهمَّ حدثٍ في القرن الحادي والعشرين سيوجِّه مسار علاقة المسلمين مع أنفسهم ومع العالم؟

ما يبرِّر هذا التَّساؤل أنَّ السَّنوات التي مضت على الحدَثِ لم تكن كافية لبروز وعي إسلامي بأهمية وخطورة مآلات ما حصَل، كما استمرت السِّياسات الإسلامية وكأنَّ شيئاً لم يحدث، ولم يتغيِّر فيها شيءٌ إلا بحجم وجدية الضغوط المفروضة من الخارج.

لقد أمسى التَّوافق العالميُّ ضدَّ هذا الدِّين حقيقةً واقعة لا تحمل مجالاً للشك؛ سواء كان ذلك بصرف المسلمين عن دينهم جملة أو بإغراقهم في فوضى عقائدية تشريعيَّة أداتُها التشكيك في المقدسات وتفتيت الجبهات المتماسكة - علميةً كانت أو عمليَّة- وهذا كلُّه مصداقاً لآياتٍ تترى من التَّنزيل الحكيم توضِّح كيد الزَّائغين يهوداً كانوا أو نصارى وأتباعهم ممن عَمِيَتْ بصيرتهم وخَبَى نور الوحي في قلوبهم..

ولا شكَّ أنَّ المُتبصِّرَ بالواقع المعاصر - الذي يزن قضاياه بميزان الشَّريعة المطهرة- يَرى ذلك الاستهداف في صُعُدٍ متعددةٍ سواء منها السِّياسي أو العَسكري أو الاقتصادي أو الفِكري، ولا شك أنَّ مِن أخطر هذه الصُّعُد هو الصَّعيد الفِكري الذي يتبنَّى فيه طرح الشُّبهات والإغراق في الشهوات، وذلك كلُّه مصداقاً لكلامِ الباري سبحانهُ وتعالى: (( مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ )) [البقرة:١٠٥]، وقوله: (( وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ )) [البقرة:١٢٠]، وقوله: (( وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً )) [النساء:٨٩]، وقوله: (( وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ )) [البقرة:١٠٩]، وقوله: (( وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا )) [البقرة:٢١٧]، وقوله: (( إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا)) [الطارق:١٥]، ويقول أيضاً: (( وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ)) [الأنفال:٣٠].

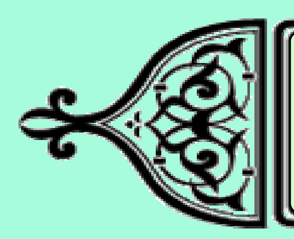
ومن هذا الكيد تجنيد بعض أهل الأهواءِ المنتسبين لهذه الأمة –شعروا بذلك أو لم يشعروا- لِنَشْرِ باطلهم المتوافِق مع باطل أهل الكتاب؛ إيهاناً للدِّيانة الإسلاميّة في عقيدتِها وإضلالاً للمسلمين في عبادتهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «ولا ينفق الباطل في الوجود إلا بثوبٍ من الحقِّ، كما أنَّ أهل الكتاب لبسوا الحقَّ بالباطل؛ فبسبب الحقِّ اليَسير الذي معهم يُضلِّون خَلْقاً كثيراً عن الحقِّ الذي يجب الإيمان به، ويدعونه إلى الباطل الكثير الذي هم عليه، وكثيراً ما يعارضهم من أهل الإسلام من لا يحسن التمييز بين الحقِّ والباطل ولا يُقيم الحجَّة التي تدحض باطلهم ولا يُبيِّن حجة اللّه التي أقامها برسله ؛ فيحصلُ بذلك فتنةٌ»[1].

لقد ظهر لنا من خلال متابعةٍ مستمرَّةٍ لهذا الكيد أن ثمَّة إرادة طامحة لتمكين الفكر الصوفي في واقع الأمَّة من خلال طرق ومشاربَ عدَّةٍ، تُعدُّ أدوات لِهدم العقيدة في النفوس، وإزهاقاً للعبادة الحقَّة، وإشاعة للتواكل وترك العمل والكَسْب، وإضعافاً لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...

ذلك كله يوجب على رواد هذه الأمة المباركة القيام بواجب العلم والعمل كل بحسب قدرته نصحاً للمسلمين وتبياناً لسبيل المجرمين.

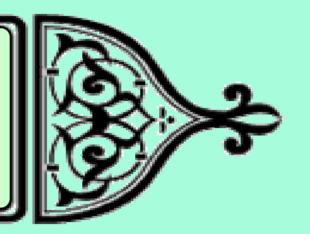
الهوامش

(١) مجموع الفتاوى (١/٤٠١).



# العلامة محمد الأمين بوخبزه

من علماء المغرب العربي



يقول الشيخ العلامة محمد الأمين بوخبزه مؤرخا للمغرب العربي: (كان المغرب منذ أن دخله الإسلام تربة خصبة لنحل المبتدعة وطوائفهم. وفي وقت مبكر ذرّ قرن الخوارج الصفرية، .وأقاموا به دولة، .كما كان مهدا للدعوة الشيعية. منه انبعثت طلائعها. فانتشرت في إفريقيا تونس و ليبيا إلى أن دخلت مصر وبنى المعز الفاطمي على يد قائده جوهر مدينة القاهرة. أسس بها الجامع الأزهر ليكون مركزا للدعوة. كما استفحلت نحلة البرغواطيين في تامسنا وما حولها إلى أن قضى عليها عبد الله بن ياسين.

وفي أيام المرابطين والموحدين نشطت الحركة الصوفية وتجلى نشاطها في الخلوة والمبالغة في العبادة والزهد والتقشف، كما في سيرة الأخوين الهزميريين، ومن تحدث عنهم: التادلي في ( التشوف )، والبادسي في ( المقصد الشريف ) وابن قنفذ في ( أنس الفقير )، ولن تجد في أخبار هؤلاء إلا نادرا، جنوحا إلى التصوف الفلسفي، وادعاء الشطحات.

وفي أيام بني مرين تكاثرت الزوايا، وتنامت الدعاوى وتدوولت مؤلفات و أنظام، وعمّ البلاء وطم فيمن بعدهم، وأخلد إلى الراحة والخمول والاشتغال بالكرامات والمنانات يلتمسون فيها العزاء عن تكالب العدو على الوطن، ونقضه من أطرافه)

ويقول –حفظه الله– عاقدا مقارنة طريفة بين مقهى وزاوية: (مقهى عمومي في شارع عمومي يجتمع فيه العمَلة والصناع يشربون الشاي والقهوة وعصير الفواكه والمشروبات الغازية، وليس به تلفزة ولا ألعاب ولا قمار ولا خمر ولا ما يُكره ويُستنكر، وإنما يجتمع فيه الناس للترفيه عن أنفسهم والتحدث فيما يهُمهم، وهناك زاوية لطريقة من هذه الطرق التي تسمى الصوفية، الله أعلم بحال بُقعتها ولمن كانت أولاً فربما غُصبت من أصحابها أو احتال شيخ الطريقة على أخذها وجعلها زاوية له، ثم إن صاحبها يبيع فيها القبورَ بمال فاحش، واستمر ذلك بعد وفاته من ورثته وأهله، فأصبحت تلك الزاوية مقبرة خالصة ليس فيها بقعة صغيرة طاهرة وفارغة، والناس مع هذا يؤمونها للصلاة متخذين القبور مساجد، جاهلين أو متجاهلين ما تواترت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا بالإضافة إلى أن هذه الزاوية مُحتكرة لأصحاب الطريقة وحدهم لا يسمحون لغيرهم من أصحاب الطرق الأخرى أن يُقيموا فيها طقوسهم، ويقرؤا أذكارهم؛ لأن هذه الأذكار والأحزاب لها خواص وقواعد وأسرار قاصرة على أصحابها المأذونين لا ينالها غيرهم، ولا تسل عما تتضمن هذه الأذكار والأحزاب والأشعار من بدَع وضلالات من الغلو في المدح والتعلق بالمخلوق، والتوسل والاستغاثة به، وإذا انتهى بهم الأمر إلى الحضرة وهي.... على الغناء والرقص فلا تسل عن الاختلاط الفاضح، والفجور والفسق والزور والبهتان الذي يُقترف هناك قولاً وفعلاً لاسيما إذا كانت هذه الطريقة مشهورة بجهل أصحابها ووحشيتهم وأفعالهم الحموقية..كالطريقتين العِساوية والحمدوشية عندنا بالمغرب، فإن الأولى معروفة بتعاطي أصحابها للسكر والحشيش واللواط، وأكل الدم المسفوح والزجاج ولحس الحديد المحمي وشرب الماء المغلي، والشوك وأكل الحيات والعقارب وغير ذلك، والثانية انفردت في الدنيا برضخ أصحابها روءسَهم بالحجارة والشوافر والهروات وكرات الحديد والمسامير، وقد مات منهم عدد من جراء هذه الوحشية الفريدة، قبحهم الله ولعنهم وقطع دابرهم، وما زالوا موجودين إلى الآن بالمغرب، ولهم موسم كل عام بضريح معبودهم علي بن حمدوش بقرية قرب رزصون.

مقهى زاوية ذكرتهما وصوَّرت وضعيتهما للمقارنة، فقد خطر لي مرة بعد تفكير في هذا أن المقهى أشرف وأطهر وأرفع وأرجى للسلامة والنجاة من مَلَك

الزاوية، وإن سميت مسجداً وبنيت لها منارة طويلة، ووضع لها منبر وعُين لها مؤذن وإمام وخطيب ومدرس وواعظ، فإن هذه المظاهر والشكليات لا تغير من الحقيقة شيئا، وقد قوى عندي هذا الخاطر حتى صرحت به في عدة مجالس فكان وقعه شديداً على كثير من السامعين لمكان الإلف والعادة، ولكن المتجرد من الهوى والبدعة عندنا يتأمل هذه الحال لا يتردد في الموافقة على هذا الحكم العادل والخاطر الرباني، ولله الأمر من قبل ومن بعد.(الجراب١/٤٦).

ويقول الشيخ مبينا الحالة المثلى في تعامل التلميذ مع شيخه وناقدا في الوقت ذاته التصوف

(التصوف، هذا الأخطبُوط والسرطان الفتَّاك، هو المسؤول الأول - بعد فشل كلّ محاولة في محاربته والقضاء عليه- عن تأخُّر المسلمين وقعودهم عن اللَّحاق بركب الحضارة السليمة الصالحة، والتقدم العلمي الذي لا حياةَ كريمة بدونه، بما بثَّه وبيثُّه في النفوس والعقول من الخنوع والخضوع والخمولِ والذل، وإلغاءِ وظيفةِ العقل، والغُلو في البشر وتأليهِهم وما إلى ذلك مما تطفح به مصادرُه القديمة والحديثة من مصائبَ وتعاليمَ وثنية على رأسها: عقيدة الاتحاد والحلول، ووحدة الوجود، التي لا تصوفَ بدونها، والتي يُدَندِنُ حولها جميعُ مشايخ الصوفية المشهورين، وزاد الطينَ بَلَّةً سكوتُ العلماء عن هذا البَلاءِ الماحق، بل وتأييدُ عدد كبير منهم لهم ـ شفقةً من الإرهاب الفكري الذي يمارسه عليهم الصوفية ويتواصون به ـ ومن الكلمات الشائعة بين العامة في هذا المجال قولُهم:" سلِّم للخَاوي تنْج من العَامِر ".

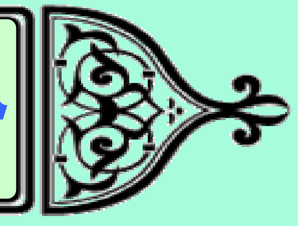
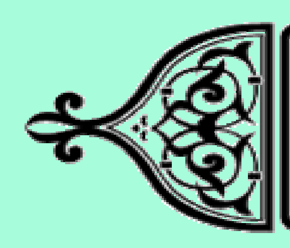
واستجابةُ الناس ـ ولا سيما الشباب ـ للدُّعاة الصالحين محدودةٌ لأسباب كثيرة على رأسها تأييدُ بعض ذوي الشأن للصوفية لحاجة في نفس يعقوبَ، وفيما يتعلق بالشباب: غِرَّتُه والبطالةُ واستيلاءُ اليأس عليه، فهو بين أمرين: إما الثورة على الكُل والإلحادُ والتحررُ من الدين والقيم، أو الارتماء في أحضان الزوايا والشيوخ الذين يبشرونَه بنعيم الولاية والعرفان، ولكن بعد الخلوة وفقدان العقل والإيمان، ولله عاقبة الأمور..

وأنا أقول هذا بعد تجربة شخصية، ودراسة ميدانية، ومعرفة كافية بالتصوف، ومخالطة لطرق شتَّى منه ولأهلها، ولا يغرنَّك ما يردده المغفلون من التحلية والتخلية، والأحوال الربانية، فإن الصالح من ذلك هو مقام الإحسان الذي جاء في حديث جبريل، وهو من الدين الإسلامي الخالص، وقد كان هذا مضمن البعثة المحمدية قبل أن يُخلق التصوف اللَّقيط.

ويقول الشيخ مبينا أول ظهور للطريقة الصوفية المسماة ( البوتشيشية) (كما ظهرت الطريقة البوتشيشية بشرق المغرب، وترامى شررها فعم السهل والحزن، وانشق عنها أحد أقطابها الشيخ عبد السلام ياسين، فانفرد بطريقة جذبت إليه آلافا من الشباب المندفع بغريزته للجديد، ولا سيما والمرشد معروف بإطلاعه على المذاهب الفكرية وإتقانه بعض اللغات، وفضل جرأته في الترويج لأفكاره ومواقفه السياسية، وقد تصدى للرد عليه كثير من الناس حتى من جماعته، ناقمين عليه شذوذه وانحرافه عن الجادة، وخلطه الحق بالباطل في مؤلفاته الكثيرة، وآخر من تصدى لنقد أفكاره ودعاويه الأستاذ الصريح الصادع بالحق أبو عاصم عمر بن مسعود في كتابه المتع حوار هادئ مع الأستاذ عبد السلام ياسين، وقد قرأته فحمدت صراحته وتقصيه لمعظم زلقات الشيخ في مختلف مؤلفاته القديمة والحديثة، وقد أجاد كذلك في الكشف عن بعض ترهات الدباغ في كتابه (الإبريز) وابن عربي الحاتمي في (الفصوص والفتوحات) ناقلا عنهما وعن (تنبيه الغبي) للبقاعي وقد أبلغها عصريه شمس الدين السخاوي في كتابه الحافل (القول المنبي في ترجمة ابن العربي) إلى أكثر من مائة ناقلا لفتاوي أكثر من مائة وأربعين عالما من المذاهب الأربعة ومشايخ الصوفية من عصر ابن العربي إلى القرن العاشر تدور كلها على تكفيره أو تفسيقه مع الدليل من كلامه والكتاب رهن التحقيق. ولعله يصدر قريبا إن شاء الله في مجلدين أو أكثر، وإليه المنتهى في هذا الموضوع الذي يجهله معظم المغاربة.

وبالجملة فإن عمل الأستاذ أبي عاصم رائد في هذا الباب،(جامع من موضوعه اللباب).

(مجموع أقوال الشيخ العلامة محمد الأمين بوخبزه موجودة في موقعه على الشبكة العالمية).



# حديث الضرير والإجابة عنه

جيلان العروسي

يستدل كثير من المنتسبين للتصوف على جواز التوسل بذوات الصالحين بحديث عثمان بن حنيف المعروف بحديث الضرير، وهنا تجد معالجة جادة لهذا الفهم.

فحديث الضرير هو ما رواه أبو جعفر عمير بن يزيد عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف: (أن رجلًا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: {ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخرت ذلك فهو خير}، وفي رواية: {وإن شئت صبرت فهو خير لك، فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربك في حاجتي هذه، فتقضى لي، اللهم فَشَفِّعْهُ فِيَّ وشَفِّعْنِي فيه، قال: ففعل الرجل فبرأ}.

قد استدل بهذا الحديث الصوفية الذين أجازوا السؤال بالذوات الفاضلة، وأجازوا نداء الموتى والاستغاثة بهم، وقالوا: إن فيه نداء النبي صلى الله عليه وسلم وهو غائب، واحتجوا في هذا بقصة تعليم عثمان للرجل، التي في بعض طرق الحديث.

وقد ذكر بعض[١] هؤلاء المتصوفة الذين استدلوا بهذا الحديث أن هذا الحديث أصرح وأصح حديث في الباب وأنه حجة قاصمة.

ولتشبث هؤلاء بهذا الحديث واعتنائهم به، ظنًّا منهم أنهم وجدوا الدليل القوي فيما ذهبوا إليه، لا بد من دراسة هذا الحديث سندًا ومتنًا ومناقشة ما ادعوه، ليعلم عدم دلالة الحديث على دعواهم بل دلالته على نقيضها.

## دراسة الإسناد:

قد اشتهر هذا الحديث عن أبي جعفر.

فقد رواه عنه أربعة: شعبة بن الحجاج، وحماد بن سلمة، وهشام الدستوائي، وروح بن القاسم.

فهؤلاء الأربعة وإن اتفقوا في الرواية عن أبي جعفر، إلا أنهم اختلفوا في شيخ أبي جعفر، فشعبة وابن سلمة روياه عن أبي جعفر عن عمه عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حُنَيْف.

وأما هشام الدستوائي وروح بن القاسم فروياه عن أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف، وسيأتي الكلام على هذا الاختلاف في الإسناد والمتن إن شاء الله تعالى.

فأقوى هذه الطرق طريق شعبة؛ لأنه أحفظهم وأتقنهم، وقد رواه عن شعبة ثلاثة: عثمان بن عمر، وروح بن عبادة، وغندر.

فأما رواية عثمان فقد أخرجها الترمذي[٢] والنسائي[٣] كلاهما عن محمود بن غيلان.

وأخرجه أحمد[٤] وعبد بن حميد[٥] وابن ماجه[٦] عن أحمد بن منصور بن يسار. وابن خزيمة[٧] عن محمد بن بشار وأبي موسى. والطبراني عن إدريس بن جعفر العطار[٨]، والحاكم من طريق الحسن بن مكرم[٩]، ومن طريق العباس بن محمد الدوري[١٠]، والبيهقي عن الحاكم بطريق الدوري[١١].

وأخرجه البيهقي أيضًا من طريق محمد بن يونس[١٢]، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير على صورة التعليق عن شيخه علي وهو ابن المديني[١٣].

كل هؤلاء - وهم: محمود بن غيلان وأحمد وابن حميد وابن يسار وابن بشار وأبو موسى والعطار وابن مكرم والدوري وابن يونس وابن المديني- عن عثمان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف به.

### وأما رواية روح بن عبادة:

فقد أخرجها أحمد، ثنا روح قال: ثنا شعبة به[١٤].

والبيهقي في الدعوات من طريق أحمد بن الوليد، ثنا روح[١٥].

وقال البيهقي في الدلائل: ورويناه في كتاب الدعوات بإسناد صحيح عن روح بن عبادة عن شعبة[١٦].

وأما رواية غندر محمد بن جعفر، فقد أخرجها الحاكم من طريق عبد الله بن أحمد عن أبيه ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة به[١٧].

وأما بالنسبة إلى لفظ الحديث فقد اتفقت رواية شعبة في قوله: [اللهم فشفعه فيّ] ثم اختلفت في قوله: [وشفعني فيه] فبعضهم شك في زيادتها.

وأما طريق حماد بن سلمة، فقد أخرجه الإمام أحمد رحمه الله عن مؤمل وهو ابن إسماعيل قال: ثنا حماد - يعني: ابن سلمة- قال: ثنا أبو جعفر الخطمي عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف به[١٨]، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير تعليقًا عن شيخه شهاب بن عباد عن حماد[١٩]، وأخرجه أيضًا النسائي عن محمد بن معمر قال: حدثنا حبان قال: حدثنا حماد به[٢٠]، وأخرجه ابن أبي خيثمة حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا حماد بن سلمة به.

وأما طريق هشام بن أبي عبد الله الدستوائي فأخرجه

النسائي عن محمد بن المثنى قال: حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه به[٢١]، وأخرجه البخاري في التاريخ تعليقاً عن شيخه محمد بن المثنى به[٢٢].

ولفظ هشام الدستوائي: [فشفعه فيّ وشفعني في نفسي]، ولفظ حماد بن سلمة عند النسائي: [اللهم شفع فيّ نبيي وشفعني في نفسي].

وأما طريق روح بن القاسم فقد روى عنه راويان: شبيب بن سعيد الحبطي، وعون بن عمارة البصري.

رواية شبيب بن سعيد:

فقد روى عنه ثلاثة: ولداه: أحمد وإسماعيل ابنا شبيب، وعبد الله بن وهب.

وأما رواية أحمد بن شبيب:

فلها أربعة طرق، وقد أخرجها ابن السني من طريق العباس بن فرح الرياشي، والحسين بن يحيى الثوري[٢٣].

والحاكم من طريق أبي عبد الله محمد بن علي بن زيد الصائغ[٢٤].

ومن طريق الحاكم البيهقي[٢٥].

ثلاثتهم - العباس الرياشي، والحسين الثوري، والصائغ- عن أحمد بن شبيب بن سعيد به، بدون ذكر القصة في أول الحديث.

وخالف هؤلاء الثلاثة يعقوب الفسوي، فزاد في أول الحديث قصة أخرجها في تاريخه فقال: ثنا أحمد بن شبيب بن سعيد، ثنا أبي عن روح بن القاسم... إلخ، وذكر القصة[٢٦].

ومن طريقه البيهقي في الدلائل[٢٧]، ومن طريقه أيضاً عبد الغني المقدسي في كتاب الترغيب في الدعاء[٢٨].

وأما رواية إسماعيل بن شبيب:

فقد أخرجها البيهقي من طريق أبي عروبة عن العباس بن الفرج ثنا إسماعيل بن شبيب وذكر القصة[٢٩].

ولكن هذه الرواية فيها احتمال خطأ أحد الرواة؛ لأن ابن السني أخرجها من هذه الطريقة فجعلها من رواية أحمد لا إسماعيل وليس فيها القصة كما تقدم.

أما رواية عبد الله بن وهب:

فقد أخرجها البخاري في تاريخه عن شيخه عبد المتعال بن طالب، حدثنا ابن وهب عن أبي سعيد وهو شبيب عن روح بن القاسم به ولم يسق لفظه[٣٠].

وأخرجها الطبراني في كتبه: الدعاء[٣١]، والمعجم الصغير[٣٢]، والمعجم الكبير[٣٣] عن طاهر بن عيسى عن أصبغ ابن الفرج عن ابن وهب عن أبي سعيد المكي وهو شبيب بن سعيد عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف، وزاد قصة في أوله وهي: (إن رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، وكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف، فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائتي الميضأة فتوضأ، ثم ائتي المسجد فصلِّ فيه ركعتين، وقل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك، فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة فقال: حاجتك، فذكر حاجته، وقضاها له، وقال له: ما فهمت حاجتك حتى كان الساعة، وقال له: ما كان لك من حاجة فسل، ثم إن الرجل خرج من عند عثمان فأتى عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيرًا ما كان ينظر إلي في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: ما كلمته فيك، ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فذكر الحديث وفي آخره، قال ابن حنيف: والله ما تفرقنا حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط).

**الذي يستحق السؤال والاستغاثة والتوكل هو الله وحده**

رواية عون بن عمارة البصري:

أخرجه الحاكم من طريق العباس الدوري ثنا عون بن عمارة البصري ثنا روح بن القاسم به بدون القصة[٣٤].

فتكون رواية عون بن عمارة المجردة عن القصة راجحة على رواية شبيب بن سعيد التي فيها القصة، لموافقتها لرواية الجماعة، وإن كان ضعيفاً، ولأنه قد اختلف على شبيب في زيادة القصة، وقد يقال: إن عوناً قد اختلف عليه فقد أخرج الطبراني في الدعاء هذا الحديث من طريقه عن روح بن القاسم عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه فذكر القصة، وقال الطبراني: (وَهِمَ عونٌ في الحديث وهمًا فاحشًا) وأبدى محقق كتاب الدعاء احتمال كون الوهم من شيخ الطبراني وليس من عون، بدليل رواية الحاكم السابقة[٣٥].

الخلاصة:

١- أن أقوى الطرق طريق شعبة؛ لكونه أحفظ من روى هذا الحديث عن أبي جعفر؛ ولأنه لم يختلف عليه فيه.

٢- أن شعبة وحماد بن سلمة اتفقا على أن شيخ أبي جعفر هو عمارة بن خزيمة بن ثابت.

٣- وخالفهما هشام الدستوائي وروح بن القاسم فجعلا شيخ أبي جعفر أبا أمامة بن سهل بن حنيف.

٤- اتفقت رواية شعبة وابن سلمة وهشام الدستوائي في عدم زيادة القصة في أول الحديث.

٥- اختلف على روح بن القاسم بذكر القصة في أوله وعدم ذكرها، فروى عنه عون بن عمارة البصري بدون القصة مثل الجماعة، وروى عنه شبيب بن سعيد فاختلف عليه، فروى عنه ابنه أحمد بدون القصة في أكثر الروايات عنه، وانفرد يعقوب الفسوي عنه بزيادة القصة في أولها.

وروى عن شبيب ابنه إسماعيل وابن وهب بزيادة القصة،

فاتضح من هذا أن زيادة القصة في أول الحديث منكرة وذلك للآتي:

١- ضعف المتفرد بها وهو شبيب[٣٦].

٢- مخالفته للثقات الذين لم يذكروها.

٣- اضطرابه فيها، حيث يزيد مرة ولا يزيد مرة، أو يقال: الاختلاف عليه فيها.

وقد ذكر شيخ الإسلام[٣٧] ابن تيمية ما في هذه الزيادة من علل ونقدها سندًا ومتنًا، وإليك خلاصة كلامه في ذلك، فقد ذكر أربع علل تتعلق بالإسناد، فقال: فهذه الزيادة فيها عدة علل:

١- انفراد هذا بها عمن هو أكبر وأحفظ منه.

٢- وإعراض أهل السنن عنها.

٣- واضطراب لفظها.

٤- وأن راويها عرف له عن روح هذا أحاديث منكرة.

ومثل هذا يقتضي حصول الريب والشك في كونها ثابتة فلا حجّة فيها.

ثم أجاب - رحمه الله تعالى- على فرض صحتها:

١- بأن الاعتبار بما رواه الصحابي لا بما فهمه، إذا كان اللفظ الذي رواه لا يدل على فهمه بل على خلافه؛ لأن قوله: [فشفعه فيّ] لا يستقيم فيمن لم يشفع له الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يدع له؛ لأن الشفاعة إنما تكون في حياته صلى الله عليه وسلم لمن أتى إليه ودعا له الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢- ثم إن مثل هذا الأمر لا تثبت به شريعة كسائر ما ينقل عن آحاد الصحابة في جنس العبادات أو الإباحات أو الإيجابات أو التحريمات إذا لم يوافقه غيره من الصحابة عليه، وإذا كان ما يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم يخالفه لا يوافقه لم يكن فعله سنة يجب على المسلمين اتباعها، بل غايته أن يكون ذلك مما يسوغ فيه الاجتهاد، ومما تنازعت فيه الأمة فيجب رده إلى الله والرسول، مثل إدخال ابن عمر الماء في عينيه في الوضوء، وغسل أبي هريرة يده إلى العضد، وغير ذلك مما فعله آحاد الصحابة، ولم يجمعوا عليه.

٣- وأما قول من قال من العلماء: إن قول الصحابي حجة فمقيد بما إذا لم يخالفه غيره من الصحابة ولم يعرف نص يخالفه، أو اشتهر ولم ينكروه، وأما إذا كانت السنة تدل على خلافه كانت الحجة في السنة بلا ريب عند أهل العلم.

٤- ثم إنه لو ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره أنه يستحب التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته من غير أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم داعيًا وشافعًا فيرد بأن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعًا بعد مماته كما كان يشرع في حياته؛ لأنهم كانوا يتوسلون به في حياته في الاستسقاء، فلما مات لم يتوسلوا به، وإذا قدر أن بعض الصحابة أمر غيره بالتوسل بذاته لا بشفاعته، ولم يأمر بالدعاء المشروع بل ببعضه وترك سائره المتضمّن للتوسل بشفاعته كان ما فعله عمر هو الموافق للسنة، وكان المخالف لعمر محجوجًا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الحديث الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم حجة عليه لا له.

رجال الإسناد:

ليس في رجال الإسناد من يحتمل أن يكون فيه كلام إلا أبا جعفر وهو الخطمي، كما جاء مصرحًا به في مصادر كثيرة التي أخرجت الحديث والتي تقدمت الإشارة إليها[٣٨].

كما يؤيد ذلك أن أبا جعفر الذي يروي عنه شعبة ويروي عن عمارة بن خزيمة هو الخطمي[٣٩]. واسمه عمير بن يزيد بن عمير بن حبيب الأنصاري المدني البصري الخطمي، وقد وثقه ابن معين والنسائي وابن مهدي وابن نمير والعجلي والطبراني، وقال أبو الحسن ابن المديني: هو مدني قدم البصرة، وليس لأهل المدينة عنه أثر ولا يعرفونه[٤٠].

وقال الحافظ فيه: صدوق من السادسة[٤١]، وهذه العبارة من الحافظ تدل على أن حديثه في مرتبة الحسن، وبهذا يعرف عدم صحة قول من ذهب إلى أن أبا جعفر ليس الخطمي، وأنه الرازي وهو ضعيف[٤٢].

أقوال النقاد في الحديث:

قد رجح أبو زرعة الرازي رواية شعبة عن أبي جعفر عن عمارة عن عثمان، على رواية الدستوائي عن أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عثمان لكون شعبة أحفظ[٤٣]، لكن خالفه ابن أبي حاتم فرجح رواية الدستوائي فقال في ترجيحه: تابع هشامًا الدستوائي روح بن القاسم، وهو ممن يجمع حديثه ثقة، وهو أشبع متنًا، فروايتهما أصح[٤٤].

وقال علي بن المديني: (وما أرى روح بن القاسم إلا قد حفظه)[٤٥]، فعلى قول ابن المديني وابن أبي حاتم تكون رواية الدستوائي وروح بن القاسم أرجح لتقوية رواية أحدهما بمتابعة الآخر، ولكن يعترض على هذا بأن شعبة أيضًا تابعه حماد بن سلمة؛ ثم إن شعبة أقوى من الدستوائي وروح بن القاسم، فتساوت الروايتان فلا يمكن ترجيح إحداهما على الأخرى، فيحتمل أن هذا الاختلاف من أبي جعفر فهو الذي اضطرب فيه، فمرة روى هكذا ومرة هكذا، وإن كان الأمر كذلك دل على ضعف حفظه.

وأبدى الحافظ ابن حجر احتمال كون أبي جعفر روى بطريقين[٤٦]، ولكن هذا الاحتمال لا يلجأ إليه إلا عند التأكد من كون الراوي المختلف عليه حافظًا ضابطًا، وأبو جعفر ليس من الحفاظ المتقنين، ويدل على ذلك هذا الاضطراب في اسم شيخه، وفي المتن حيث يقول مرة: (فشفعني في نفسي)، ومرة (وشفعني فيه)، ومرة (فشفعه فيّ).

والحاصل: أن الحديث فيه الأمور التالية:

١- اضطراب أبي جعفر في اسم شيخه فيما يتعلق بالسند، وكذلك في المتن تارةً يقول: فشفعه فيّ، وتارةً يقول: فشفعني فيه، ومرةً: وشفعني في نفسي، وتارةً يذكر

الوضوء والصلاة، وتارةً لا يذكر، وهذا يدل على أقل تقدير على عدم ضبطه للقصة، أو روايته لها بالمعنى.

٢- ليس قويًّا يعتمد عليه فيما انفرد به من السنن التي لم يشاركه فيها غيره؛ لأنه ليس من الحفاظ المتقنين الذين يقبل ما تفردوا به، ويدل على ذلك أن الحافظ ابن حجر قال فيه: صدوق، وهذه المرتبة هي مرتبة الحسن، وهو من ليس تام الضبط.

٣- تفرده[٤٧] بقصة وقعت بمحضر الصحابة، وتعد من أقوى المعجزات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم، ومثل هذا مما تتوافر الدواعي والهمم على نقله.

فهذه الأمور تجعل في النفس من صحة هذا الحديث ومن ضبط أبي جعفر لألفاظه شيئًا والله أعلم.

الكلام على حديث الأعمى من جهة المعنى:

فحديث الأعمى - إن ثبت- يدل على التوسل المشروع، وهو طلب الدعاء من الحي الحاضر؛ لأن ألفاظ الحديث (تدل على أن ذلك مشروع إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم حيًّا مسؤولًا سائلًا لله)[٤٨]، ولا تدل على التوسل به إذا لم يكن سائلًا، وإليك تفصيل هذا:

أ- إن الأعمى[٤٩] جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم طالبًا منه الدعاء له، فلو كان يكفي مجرد التوسل بذكر اسم الرسول صلى الله عليه وسلم لجلس في بيته، وقال: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد أن ترد علي بصري، أو مثل هذا ولم يتعب نفسه بالمجيء والحضور إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

ب- إنه لم يكتف بالحضور فقط، بل طلب صراحة من النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء له فقال: [ادع الله أن يعافيني].

ولم يفعل مثل ما يفعله بعض المريدين مع شيوخهم، حيث يعتقدون أن الشيخ مطلع على الأسرار، وأنه يعرف حوائج المريدين، فلا حاجة لإخباره ولا للطلب منه، ومثل ذلك ما يفعله بعض القبوريين الذين يقولون للولي عند زيارته: [العارف لا يعرف][٥٠].

جـ- وعده[٥١] صلى الله عليه وسلم إياه بالدعاء إن لم يصبر: {إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك}، والرسول صلى الله عليه وسلم خير من وفى بما وعد، فلا يقال: لم يثبت في ألفاظ الحديث أنه دعا له.

د- إصرار[٥٢] الأعمى على الدعاء، فقد ورد في بعض طرقه أنه قال: [ادع الله لي مرتين أو ثلاثًا][٥٣] وفي رواية: {ألا تصبر؟ قال: يا رسول الله، ليس لي قائد وقد شق علي...}[٥٤].

فبعد هذا الإصرار على الدعاء لا بد أن النبي صلى الله عليه وسلم سيفي له بما وعد، وهو الدعاء له.

هـ- ما ورد في لفظ الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم: [اللهم شفع نبيي في رد بصري ...][٥٥] وفي رواية: [اللهم شفعه فيّ][٥٦]، وهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم شفع له، ودعا الله له. وإلا فكيف يطلب الأعمى من الله تعالى قبول شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم تحصل الشفاعة ولم تقع من النبي صلى الله عليه وسلم؟

و- ما ورد في الروايات من قوله: [وتشفعني فيه][٥٧].

إذ يطلب الأعمى أن يقبل الله تعالى شفاعته التي يطلب فيها من الله تعالى قبول شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة الأعمى، وليس المراد أنه يشفع للنبي صلى الله عليه وسلم في حاجة للنبي صلى الله عليه وسلم، وإنما المراد أنه يدعو الله تعالى أن يقبل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيه، فهو كالشفاعة في الشفاعة[٥٨]، فهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد شفع له ودعا له.

ز- إن العلماء فهموا من هذا الحديث التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا لذكره العلماء في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه المستجاب، وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه صلى الله عليه وسلم ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره][٥٩].

ح- قد ثبت بهذه الأدلة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم للأعمى، فإذا ثبت دعاؤه له فلا يمكن أن يقاس عليه من لم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم له؛ إذ من شرط القياس المماثلة ولا توجد هنا مماثلة، إذ الفرق [ثابت شرعًا وقدرًا بين من دعا له النبي صلى الله عليه وسلم، وبين من لم يدع له، فلا يجوز أن يجعل أحدهما كالآخر][٦٠].

ط- وقد دل عمل الصحابة ومن بعدهم على الفرق المذكور؛ لأنه [لو كان كل أعمى توسل به وإن لم يدع له الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة ذلك الأعمى لكان عميان الصحابة أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمى، وأن كل أعمى دعا بدعاء ذلك الأعمى وفعل كما فعل من الوضوء والصلاة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وإلى زمننا هذا لم يوجد على وجه الأرض أعمى، فعدولُهم عن هذا إلى هذا - مع أنهم السابقون الأولون المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان فإنهم أعلم منا بالله ورسوله، وبحقوق الله ورسوله، وما يشرع من الدعاء، وينفع، وما لم يشرع ولا ينفع، وما يكون أنفع من غيره...- دليلٌ على أن المشروع ما سلكوه دون ما تركوه][٦١].

ي- لو سلمنا دلالته على التوسل بالذات الغائبة - لا نسلم أنه عام في كل الأحوال والأشخاص بل هو قضية عين[٦٢] لا عموم لها، فهو خاص بمن دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو هذا الأعمى الذي جاءه وطلب منه الدعاء.

ولو تنازلنا وقلنا: إنه ليس خاصًّا بهذا الأعمى أو بمن دعا له في حياته - لا نسلم أنه يعم غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو خاص به؛ لأنه لا يمكن قياس غير النبي صلى الله عليه وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى هذا ذهب العز بن عبد السلام رحمه الله على فرض صحة

الحديث[٦٣].

ك- ثم لو سلمنا دلالته على العموم - وهيهات ذلك- فهو حديث شاذ عن قواعد الشرع فلا يعمل به، لمخالفته للقطعيات من نصوص الكتاب والسنة[٦٤].

ل- ثم لو سلمنا دلالته على التوسل بالذوات تنازلًا مع المخالف - لا نسلم دلالته على الاستغاثة ونداء الموتى ودعائهم؛ لأن هذا الحديث غاية ما يدل عليه أن الأعرابي طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له مع حضوره في حياته صلى الله عليه وسلم، فأين هذا من دعاء الأموات والالتجاء إليهم في الشدائد؟ ومن هنا يعلم أننا لو تنازلنا وقلنا: إن الحديث يدل على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في مغيبه فلا يدل على جواز دعائه والاستغاثة به والاستنجاد به، وذلك لأن (الفرق بين هذين متفق عليه بين المسلمين: المتوسل إنما يدعو الله ويخاطبه ويطلب منه، لا يدعو غيره إلا على سبيل استحضاره لا على سبيل الطلب منه، وأما الداعي والمستغيث فهو الذي يسأل المدعو ويطلب منه ويستغيثه ويتوكل عليه)[٦٥].

والذي يستحق السؤال والاستغاثة والتوكل هو الله وحده، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ولا يمكن أن يدعى ويسأل غير الله تعالى، كما لا يمكن قياس سؤاله صلى الله عليه وسلم ودعائه على السؤال به والتوسل به، فالفرق شاسع بين البابين.

وأما تعليمه صلى الله عليه وسلم الأعمى الدعاء فلا ينافي دعاءه صلى الله عليه وسلم له، لأن دعاء الأعمى ووضوءه وصلاته من التوسل بالأعمال الصالحة، ويكون دعاء النبي صلى الله عليه وسلم من التوسل بدعاء الحي الحاضر [فحصل الدعاء من الجهتين][٦٦].

وبهذا تسقط دعوى من يقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدع للأعمى، وإنما أرشده إلى الصلاة والتوسل به فقط[٦٧].

وأما قوله: [اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد] فليس معناه بذات أو جاه نبيك؛ وذلك لأن معنى التوسل والتوجه في لسان الشرع وسلف هذه الأمة هو التوسل بالدعاء، وقد تقدم شرح ذلك.

أو نقول: إنه لا بد من التقدير، إما أن يقدر بذات أو بدعاء، والأدلة تدل على أن المقدر دعاء، وهذا الجواب الثاني - وإن ذكره بعض العلماء[٦٨]- لكن الجواب الأول أولى؛ لأن أصل وضع الكلمة لا يحتاج إلى تقدير مضاف محذوف، والأصل عدم التقدير، وأما قوله: [وشفعني في نفسي] فأقوى الطرق ليس فيه هذا اللفظ وهي رواية شعبة، وأقواها رواية: {فشفعه في وشفعني فيه}، لورودها في طريق شعبة القوية.

وأما على تقدير كونها محفوظة فمعناه: [إنه طلب أن يكون شفيعًا لنفسه مع دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، ولو لم يدع له النبي صلى الله عليه وسلم كان سائلًا مجردًا كسائر السائلين، ولا يسمى مثل هذا شفاعة، وإنما تكون الشفاعة إذا كان هناك اثنان يطلبان أمرًا فيكون أحدهما شفيعًا للآخر بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره][٦٩].

وأما توجيه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قول الأعمى: [إني توجهت بك إلى ربي] وفي رواية: [يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي]. فليس فيه دليل على نداء الغائب والاستغاثة به وذلك:

١- لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان حاضرًا عند الأعمى، كما يدل على ذلك سياق الرواية، وليس هناك دليل على أن الأعمى ذهب إلى مكان آخر، فصلى فدعا فيه بهذا الدعاء.

وأما ما ورد في بعض رواية شبيب عن روح بن القاسم من زيادة القصة والقول في آخرها، قال ابن حنيف: والله ما تفرقنا حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط.

فقد ذكرنا أن هذه الرواية منكرة، وبيّنا ما فيها من العلل، فتبين بهذا أنها لا تقوم بها حجة.

٢- ثم لو سلمنا صحتها يكون معنى الخطاب والنداء هو خطاب ونداء استحضار [يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب لشهوده بالقلب كما يقول المصلي: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) والإنسان يفعل مثل هذا كثيرًا يخاطب من يتصوره في نفسه، وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب][٧٠].

٣- وأما الإجابة بأن الخطاب والنداء لم يثبت في طرق الحديث ففيه نظر، فأكثر طرق الحديث إما فيها النداء بيا محمد أو فيها الخطاب بقوله: (إني توجهت بك إلى ربي)، فإذا ثبت أصل الحديث فالخطاب ثابت، ولكن قد عرفت أن أصل الحديث في ثبوته تردد، واحتمال رواية هذا الحديث بالمعنى وارد بسبب ما نراه من الاختلاف في ألفاظه.

وأما ما ورد في بعض طرق حديث حماد بن سلمة فيما رواه ابن أبي خيثمة حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا حماد بن سلمة (اللهم فشفعني في نفسي وشفع نبيي في رد بصري)، وإن كانت حاجة فعل مثل ذلك أو قال: (افعل مثل ذلك) فهذه الرواية فيها عدة علل:

أ- تفرد حماد[٧١] بن سلمة بها من بين سائر من روى هذا الحديث، وهم أحفظ وأقوى منه، فهو لو خالف واحدًا منهم يعتبر شاذًا، فكيف وقد خالف جميعهم؟

وأما الإجابة[٧٢] عن هذا التفرد بأنه من زيادة الثقة وهي مقبولة، فهذا ليس مطردًا[٧٣].

ب- ومما يقوي شذوذ هذه الزيادة أن الرواة عن حماد بن سلمة لم يتفقوا على ذكرها، فقد روى عنه ثلاثة: مسلم بن إبراهيم، ومؤمل بن إسماعيل، وحبان بن هلال، فرواية مسلم عند ابن أبي خيثمة، ورواية مؤمل عند أحمد، ورواية حبان عند النسائي، ولم تذكر هذه الزيادة إلا في رواية مسلم بن إبراهيم، فهي أيضًا شاذة عن حماد بن سلمة.

ج- ويحتمل أن هذه الزيادة رويت بالمعنى، فحصل فيها

تغيير، قال شيخ الإسلام: (واختلاف الألفاظ يدل على أن مثل هذه الرواية قد تكون بالمعنى)[(٧٤)].

د- ويحتمل أيضًا أن هذه الزيادة قد تكون مدرجة من كلام عثمان بن حنيف، لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ويدل على ذلك لفظ هذه الزيادة إذ وردت بلفظ: [وإن كانت حاجة فعل ذلك] والمفترض أنها إذا كانت من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون بلفظ الخطاب: [وإن كانت لك حاجة فعلت مثل ذلك][(٧٥)].

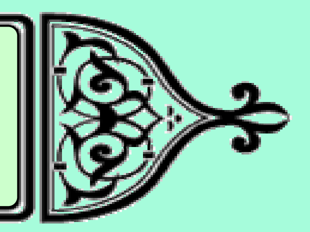
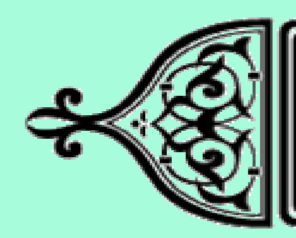
وقد اتضح مما سبق- ولله الحمد- أن حديث الأعمى- على فرض ثبوته- لا يدل على التوسل بالذوات، وإنما يدل على التوسل بدعاء الحي الحاضر.

ومن هنا نقول: لم نجد للصوفية دليلًا صريحًا من السنة الصحيحة يدل على جواز دعاء الأموات أو الغائبين أو التوسل بذواتهم.

## الهوامش

(١) وهو السمنودي في سعادة الدارين: (١٧٩- ١٨٠).
(٢) الترمذي: (٥/٥٦٩) (رقم:٣٥٧٨).
(٣) عمل اليوم والليلة: (٤١٧) (رقم:٦٥٩).
(٤) المسند: (١٣٨/٤).
(٥) المنتخب: (٣٤١/١) (رقم:٣٧٩).
(٦) ابن ماجه: (٤٤١/١) (رقم:١٣٨٥).
(٧) صحيح ابن خزيمة: (٢٢٥/٢) (رقم:١٢١٩).
(٨) الدعاء للطبراني: (١٢٨٩/٢) (رقم:١٠٥١)، والمعجم الكبير: (١٩/٩) (رقم:٨٣١١).
(٩) المستدرك: (٥١٩/١).
(١٠) المرجع نفسه: (٣١٣/١).
(١١) دلائل النبوة: (١٦٦/٦).
(١٢) المرجع نفسه: ووقع عنده اسم عمارة عامر بن خزيمة.
(١٣) التاريخ الكبير للبخاري: (٦١٠/٦).
(١٤) المسند: (١٣٨/٤).
(١٥) الدعوات للبيهقي: (ل ٢٢/أ).
(١٦) الدلائل للبيهقي: (١٦٧/٦).
(١٧) المستدرك: (٥١٩/١) ولم أجد هذه الطريقة في المسند.
(١٨) المسند: (١٣٨/٤).
(١٩) التاريخ الكبير للبخاري: (٢٠٩/٦).
(٢٠) عمل اليوم والليلة: (٤١٧) (رقم:٦٥٨).
(٢١) عمل اليوم والليلة: (٦٦٠/٤١٨).
(٢٢) هكذا ساق إسناده شيخ الإسلام في قاعدة في التوسل (ص:٩٨).
(٢٣) عمل اليوم والليلة: (٢٩٦) (رقم:٦٢٨).
(٢٤) المستدرك: (٥٢٦/١).
(٢٥) الدلائل: (١٦٧/٦).
(٢٦) انظر تاريخ الفسوي: (٢٧٢/٣)، اقتبسه المحقق من البداية: (١٦٢/٦)، وتاريخ الإسلام: (٢١٩/١).
(٢٧) الدلائل: (١٦٨/٦).
(٢٨) الترغيب في الدعاء والحث عليه (رقم:الحديث ٥٩).
(٢٩) الدلائل: (١٦٧/٦).
(٣٠) التاريخ الكبير: (٢١٠/٦).
(٣١) الدعاء: (١٢٨٧/٢) (رقم:١٠٥٠).
(٣٢) المعجم الصغير: (١٨٣/١- ١٨٤).
(٣٣) المعجم الكبير: (١٧/٩) (رقم:٨٣١١).
(٣٤) المستدرك: (٥٢٦/١).
(٣٥) الدعاء: (١٢٩٠/٢) (رقم:١٠٥٣).
(٣٦) قد ذكر النقاد ضعف شبيب إلا في حال روايته نسخة يونس بن زيد الأيلي برواية ابنه أحمد ففي هذه الحال أحاديثه مستقيمة، ففي غير تلك الحال روايته ضعيفة لا سيما رواية ابن وهب عنه كما هنا انظر الكلام عليه في الكامل لابن عدي. (١٣٤٦/٤)، والميزان: (٢٦٢/٢)، وقاعدة في التوسل: (٩٦- ٩٨)، ومقدمة الفتح. (٤٠٩)، والتوسل أنواعه: (٩٣).
(٣٧) انظر قاعدة في التوسل: (١٠٠- ١٠٥).
(٣٨) نذكر بعضها على سبيل الأمثلة: مسند أحمد: (١٣٨/٤)، وفيه الخطمي وفي رواية أبو جعفر المديني وهو الخطمي، ومنها عمل اليوم للنسائي (ص:٤١٨)، وسماه أبا جعفر عمير بن يزيد بن خرشة وصحيح ابن خزيمة: (٢٢٥/٢)، وعنده أبو جعفر المديني، والدعاء للطبراني وعنده الخطمي في: (١٢٨٨/٢) و(١٢٨٩).
(٣٩) انظر العلل للإمام أحمد: (١٨٨/١)، والكنى للدولابي: (١٣٦/١)، والتهذيب: (١٥١/٨).
(٤٠) تهذيب التهذيب: (١٥١/٨).
(٤١) التقريب رقم: (٥١٩٠).
(٤٢) قد جاء في بعض نسخ الترمذي أنه ليس الخطمي واغتر بهذا السهسواني في صيانة الإنسان (ص:٣٧٦) وأشار الصنعاني في تطهير الاعتقاد إلى أن في إسناده مقالاً (ص:١٩) وممن مال إلى أنه غير الخطمي الشقيري في السنن والمبتدعات (ص:١٢٥- ١٢٦).
(٤٣) علل ابن أبي حاتم: (١٨٩/٢).
(٤٤) المرجع نفسه: (١٩٠/٢).
(٤٥) الدعاء للطبراني: (١٢٩٠/٢) رقم: (١٠٥٢).
(٤٦) نتائج الأفكار وعنه في الفتوحات الربانية: (٣٠٢/٤).
(٤٧) أشار إلى هذا الثالث محمد طاهر في البصائر (ص:٣٣٢، ٣٣٤).
(٤٨) الرد على البكري: (١٢٧).
(٤٩) انظر معارج القبول: (٤٨٣/١).
(٥٠) اعترف بهذه الحقيقة الغماري في الرد المحكم (ص:٢٧١).
(٥١) انظر التوسل أنواعه (ص:٧٦).
(٥٢) انظر التوسل أنواعه (ص:٧٦).
(٥٣)عمل اليوم والليلة للنسائي:(٤١٧) (رقم:٦٥٨)،والتاريخ الكبير للبخاري: (١٠٩/٦).
(٥٤) عمل اليوم والليلة لابن السني: (٢٩٦) (رقم:٦٢٨).
(٥٥) النسائي، عمل اليوم والليلة: (٤١٧) في رواية حماد بن سلمة.
(٥٦) عند النسائي وغيره في رواية شعبة والدستوائي.
(٥٧) عند أحمد: (١٣٨/٤)، والبيهقي في الدعوات: (ل ٢٢) في رواية روح عن شعبة المتقدمة.
(٥٨) قاعدة في التوسل: (٢٧٦- ٢٧٧).
(٥٩) قاعدة في التوسل ضمن المجموع: (٢٦٦/١).
(٦٠) الرد على البكري: (١٢٩)، وقاعدة في التوسل: (١٣٣).
(٦١) الر على البكري: (١٣٠)، وقاعدة في التوسل (ص:١٣٤)، ومع الفتاوى: (٣٢٦/١).
(٦٢) الرد على البكري: (١٢٩).
(٦٣) فتاوى العز بن عبد السلام (ص:١٢٦- ١٢٧)، والأزهية: (١٧٣- ١٧٤).
(٦٤) ذكر نحو هذا الشيخ حمد بن معمر في النبذة الشريفة ضمن الرسائل النجدية: (٦٢٢/٤)، وقد تقدم كلام علماء الأحناف في هذا.
(٦٥) الفتاوى: (٢٧٦/٣).
(٦٦) الرد على البكري: (١٢٩).
(٦٧) انظر هذه الدعوى في الرد المحكم للغماري: (١٥٦).
(٦٨) قد ذكر هذا الجواب الشيخ محمد طاهر في البصائر (ص:٣٣٧)، والشيخ الألباني في التوسل (ص:٨١)، والألوسي في روح المعاني: (١٢٦/٦)، وعنه في جلاء العينين (ص:٥٦٧).
(٦٩) قاعدة في التوسل: (١٠٠).
(٧٠) اقتضاء الصراط (ص:٤١٦)، والقول الفصل: (١١٦ و١٤٥).
(٧١) انظر قاعدة في التوسل (ص:٩٩).
(٧٢) الرد المحكم: (١٥٥).
(٧٣) يأتي (ص:٧٦٥).
(٧٤) قاعدة في التوسل: (٩٩).
(٧٥) المرجع السابق في المكان نفسه.

عبارات تحت الضوء



# ابن عربي..
# نشأته وثقافته وأفكاره

بسام حسن السيد

يعد ابن عربي من أشهر مشايخ الصوفية، بل هو أشهرهم على الإطلاق، وينسب إليه مذهب الأكبرية الذي تأثرت به معظم الطرق الصوفية، ولمنزلته بين أتباع الطرق الصوفية فقد أطلقوا عليه العديد من الألقاب نحو "الشيخ الأكبر" و"محيي الدين" و"سلطان العارفين" و"الشيخ الكامل" و"ابن أفلاطون" و"البحر الزاخر"، إلى غير ذلك من الألقاب التي تعلي من شأنه، في الوقت نفسه الذي يشن علماء الإسلام حملة شرسة على أراء هذا الرجل واصفين له بنعوت الكفر والزندقة، فمن هو ابن عربي؟ وما حقيقة أفكاره؟

❖ - نشأته:

هو "أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عبد الله العربي الحاتمي الطائي الأندلسي"، ولد في مرسية سنة (٥٦٠هـ) وانتقل إلى أشبيلية؛ حيث بدأ دراسته التقليدية بها، ثم عمل في شبابه كاتبًا لعدد من حكام الولايات.

وفي سن مبكرة وبعد مرض ألم به كان التحول الكبير في حياته، ويشير ابن عربي نفسه إلى ذلك بأن سلوكه طريق التصوف يعود إلى رؤية رآها خلال مرضه بالحمى ليفيق من مرضه ويعزم على التوبة ويقرر التزام طريق المتصوفة[1]؛ حيث انقلب بعد ذلك - وفقا لما يحكيه عن نفسه- زاهدًا منقطعًا للعبادة والخلوة، ثم قضى بعد ذلك حوالي عشر سنين في مدن الأندلس المختلفة وشمالي إفريقية بصحبة عدد من شيوخ الصوفية.

وفي الثلاثين من عمره انتقل إلى تونس ثم ذهب إلى فاس؛ حيث كتب كتابه المسمى: "الإسراء إلى مقام الأسرى" ثم عاد إلى تونس، ثم سافر شرقًا إلى القاهرة والقدس واتجه جنوبًا إلى مكة حاجًا، ولزم البيت الحرام لعدد من السنين، وألف في تلك الفترة كتابه "تاج الرسائل"، و"روح القدس" ثم بدأ سنة (٥٩٨ هـ) بكتابة مؤلفه الضخم "الفتوحات المكية".

في السنين التالية نجد أن ابن عربي ينتقل بين بلاد الأناضول وسوريا والقدس والقاهرة ومكة، ثم ترك بلاد الأناضول ليستقر في دمشق، وقد وجد ملاذًا لدى عائلة ابن الزكي وأفراد من الأسرة الأيوبية الحاكمة بعد أن وجه إليه الفقهاء سهام النقد والتجريح، بل التكفير والزندقة، وفي تلك الفترة ألف كتابه فصوص الحِكَم وأكمل كتابه "الفتوحات المكية" وتوفي ابن عربي في دار القاضي ابن الزكي سنة (٦٣٨هـ) ودفن بمقبرة العائلة على سفح جبل قسيون.

> **المتابع لآراء ابن عربي يعجب من هذا التساوُق مع العقائد الشيعية الفارسية**

❖ - ابن عربي ومصادره الفلسفية:

أفكار ابن عربي وفلسفته هي وليدة البيئة التي نشأ فيها، وهذا ليس معناه أن البيئة هي العامل الأوحد، ولكنها من العوامل الفعالة، وقد عاش ابن عربي في الأندلس في لحظة تاريخية خمدت فيها روح الإسلام بسبب تأثر المسلمين بالثقافات والفلسفات الأخرى، والديانات المختلفة، خاصة أن الممالك المسيحية كانت تجاور الأندلس، هذا بجانب حياة الترف والمجون التي بلغت ذروتها في المجتمع الأندلسي في هذا العصر وهو قد تأثر بكل هذه التيارات والأجواء التي كانت موجودة في عصره، وكل ما وصله من علوم متباينة.

التراث الفارسي والهندي:

لذلك كانت أراء وأفكار ابن عربي هي خليط من التراث الفارسي والهندي، يقول د. محمد إبراهيم الفيومي: مما لا شك فيه أن القول بالرجعة والتناسخ والتنبؤ ودعوى الألوهية والإمام المعصوم، هذه القضايا تتخلل تراث ابن عربي، مشيرا إلى أن هذه الفلسفات نقلت لابن عربي من خلال انتشارها في ذلك الوقت فضلا عن تأثر ابن عربي بالحلاج والسهروردي أبناء هذه الثقافة، باعتبارهما من الأعاجم وأئمة الرمزية، كل هذا دفع ابن عربي أن يهضم هذه الفلسفات ويتمثلها تمثيلا، ويرى جولد تسهير أن عددا من الأفكار التي تتعلق بقواعد التصفية والأفكار الحلولية والاتحادية الموروثة عن الهند كان لها أثرها في ابن عربي[2].

الفلسفة اليونانية:

تتضح علاقة ابن عربي بالفلسفة اليونانية بشكل كبير، يقول بلاثيوس في معرض حديثه عن خصائص أفكار ابن عربي: "وأول خاصية تبرز للعيان هي الأثر الأفلاطوني العميق المتغلغل في كل مذهبه وبخاصة في تصوفه"[3]، بل يضيف بلاثيوس: "ورغبة ابن عربي الشديدة في تكييف تحليل الظواهر الصوفية مع المصطلح الأفلوطيني رغبة تجعل المرء يشك أحيانا في صدق تجاربه الذوقية"[4].

وعقيدة وحدة الوجود التي اشتهر بها ابن عربي هي في الأساس منقولة عن الأفلاطونية الحديثة، يقول الشيخ

إحسان إلهي ظهير: (ذكر جمع من الكتَّاب والباحثين في التصوف ممن اشتغلوا بالتصوف من المسلمين وغير المسلمين، وقل من شذ عنهم أن الأفلاطونية الحديثة هي أحد المصادر الأساسية للتصوف، بل إنها هي المصدر الأول بالنسبة للقائلين بوحدة الوجود والحلول بدءًا من أبي اليزيد البسطامي، وسهل التستري، والترمذي الملقب بالحكيم، وابن عطاء الله الأسكندري، وابن سبعين، وابن الفارض، والحلاج، ولسان الدين بن الخطيب، وابن عربي، والرومي، والجيلي، والعراقي، والجامي، والسهروردي المقتول وغيرهم)[٥].

ويقول د. محمد إبراهيم الفيومي: "عرف ابن عربي نظريات هؤلاء الفلاسفة على وجه مفصل ودقيق حتى لقد غالى بعضهم في وصف ابن عربي بأنه ابن أفلاطون، ويرى البعض أن ابن عربي قد تأثر بالأخلاق الرواقية، ولا سيما نظرية الخلق ووحدة الوجود، وفكرة الجسمية "[٦].

الاتجاه الصابئي:

والصابئة هي نحلة في مقابلة الحنفاء أتباع دين إبراهيم عليه السلام، وعقيدة الصابئة تقوم على تقديس وعبادة الكواكب والاهتمام بالسحر والخرافة، وكان لهذا الفكر أثر كبير على فكرة ابن عربي عن إمكان أخذ الإلهام عن الكواكب [٧]، الأمر الذي دعا لعدد من العلماء المسلمين لتكفيره.

المسيحية:

وتأثير المسيحية في عقيدة ابن عربي غير خفي، فهو يرى أن عقيدة التثليث عند النصارى هي عين التوحيد وأن معنى الفرد هو الثلاثة، يقول ابن عربي: "إن الأصل الساري في بروز أعيان الممكنات هو التثليث، واعلم أن الأحد لا يكون عنه شيء البتة، وأن أول الأعداد الاثنان، ولا يكون عن الاثنين شيء أصلًا ما لم يكن ثالث يربط بعضها ببعض، فحينئذ يتكون عنها ما يتكون بحسب ما يكون هذان الاثنان عليه"، ويضيف: "وهذا هو حكم الاسم الفرد، فالثلاثة أول الأفراد، وعن هذا الاسم ظهر ما ظهر من أعيان الممكنات، فما وجد ممكن من واحد، وإنما وجد من الجمع وأقل الجمع ثلاثة وهو الفرد"[٨].

وقال: "وأما أهل التثليث فيرجى لهم التخلص لما في التثليث من الفردية، لأن الفرد من نعوت الواحد، فهم موحدون توحيد تركيب، فيرجى أن تعمهم الرحمة المركبة"[٩].

أما العقيدة الثانية في المسيحية وهي التجسيد، فيؤكد بلاثيوس تأثر فكرة الاتحاد الصوفي عند ابن عربي بعقيدة النصارى الخاصة بالاتحاد الأقنومي، ويقارن بلاثيوس بين قول أهل الاتحاد والحلول: "أنا الحق" وعبارة بولس: "المسيح يحيا في"[١٠]، ويرى بلاثيوس: "وموقف العطف والتقارب مع العقيدة المسيحية هذا هو في نظري نتيجة للتأثير الشديد الواسع الذي أحدثته الرهبانية المسيحية في التصوف"[١١].

الشيعة:

ويربط العديد من الباحثين بين التشيع والصوفية، ويرون أن التشيع هو الذي مهد الأرض أمام الفكر الصوفي، ويرى ابن خلدون في كتابه "المقدمة" أن المتصوفة المتأخرين من أمثال ابن عربي وابن الفارض قد تأثروا بالشيعة الغلاة والفكر الباطني المنحرف، يقول ابن خلدون في هذا الصدد: "ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة وملؤوا الصحف منه مثل: الهروي في كتابه "المقامات" وله غيره، وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم"[١٢].

والمتابع لأراء ابن عربي يعجب من هذا التساوُق مع العقائد الشيعية الفارسية، ودليلنا على ذلك أن ابن عربي وجد العدد الأكبر من مريديه وخلفائه في إيران الشيعية وبين أبناء الباطنية الشيعية الإسماعيلية، وحتى اليوم يحتفي الشيعة بشكل كبير بكتابات ابن عربي لتوافقها مع مذهبهم.

ابن عربي الواضع الحقيقي لمدرسة وحدة الوجود

الهرمسية:

ويقصد به العودة إلى القديم، والاستعانة بالسحر والتنجيم والكيمياء في الوصول إلى المعرفة أو الكشف، وينسبها البعض للمصريين القدماء، وكان العديد من مشايخ الصوفية قد تأثروا بالفكر الهرمسي وعلى رأس من تأثر به ابن سبعين وابن عربي وعملوا على نشرها في أوساط المسلمين، يقول د. إبراهيم هلال: "إن بعض العقائد الهرمسية الخاصة يمكن أن نراها كثيرًا في الكتابات الصوفية عن الكون، وخاصة تلك التي كتبها ابن عربي مثل "فصوص الحكم" وبعض فصول كتاب "الفتوحات المكية"، وعموما فقد تجمعت العقائد الهرمسية الكونية في المعتقدات الصوفية بواسطة ابن عربي، وهذه ظاهرة في كتاباته ومعظم كتابات ممثلي هذه المدرسة البارزين مثل "صدر الدين القنوي"، "عبد الكريم الجيلي"، "وابن توركاه الأصفهاني"، و"ابن أبي جهور"[١٣].

خلاصة القول :

فقد ارتبطت المصادر الفكرية والثقافية عند ابن عربي بفلسفات وأساطير وخرافات الأمم الأخرى والديانات السابقة؛ حيث تجد لكثير من الخرافات والانحرافات الموجودة لدى الأمم الأخرى مثيلًا لها عند ابن عربي، بل هو يقر بنقله لهذا الفلسفات والانحرافات واستفادته منها، يقول ابن عربي: "ما من مذهب إلا وقد رؤيت قائلًا به"[١٤].

❖- آراؤه ومعتقداته:

- قوله بوحدة الوجود:

وحدة الوجود مذهب فلسفي لا ديني، يقول: إن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وإن الله هو الوجود الحق، ويعتبرونه - تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا- صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته.

يقول د. أبو العلا عفيفي في مقدمته لكتاب الفصوص: "ولم يكن لمذهب وحدة الوجود وجود في الإسلام في صورته الكاملة قبل ابن عربي، فهو الواضع الحقيقي لدعائمه والمؤسس لمدرسته والمفصل لمعانيه والمصور له بتلك الصورة النهائية التي أخذ بها كل من تكلم في هذا المذهب من المسلمين من بعده"[١٥].

يتلخص مذهب ابن عربي في وحدة الوجود في إنكاره لعالم الظاهر ولا يعترف بالوجود الحقيقي إلا لله، فالخلق هم ظل للوجود الحق فلا موجود إلا الله فهو الوجود الحق.

فابن عربي يقرر أن كل هذه الموجودات القائمة من السماء والأرض والجن والإنس والملائكة والحيوان والنبات ما هي إلا الله، وأن هذه الموجودات هي عين وجوده، وأنه لا يوجد خالق ومخلوق ولا رب ولا عبد، بل الخالق هو عين المخلوق، والعبد هو عين الرب، والرب هو عين العبد، وأن الملك والشيطان، والجنة والنار، والطهر والنجاسة وكل المتناقضات المتضادات ما هي إلا عين واحدة تتصف بكل صفات الموجودات، وهي عين الله الواحد الذي ليس معه غيره.

ويلخص ابن عربي عقيدته هذه في بيت من الشعر بقوله:

فما نظرت عيني إلى غير وجهه
وما سمعت أذني خلاف كلامه[١٦]

ويقول:

سبحان من لا أرى سواه
في كل شيء تراه عيني
وذلك فرق يراه عقلي
ما بين معبوده وبيني[١٧]

ويقول:

عجبت لموجود حوى كل صورة
من الملأ العلوي والجن والبشر
ومن عالم أدنى ومن عالم علا
ومن حيوان كان أو نبت أو حجر[١٨]

ويوضح ابن عربي عقيدته بأن الله لا ينزه عن شيء؛ لأن كل شيء هو عينه وذاته، وأن من نزهه عن الموجودات فقد جهل الله ولم يعرفه، أي جهل ذاته ونفسه، ويقول: "اعلم أن التنزيه عن أهل الحقائق في الجانب الإلهي عين التحديد والتقييد، فالمنزه إما جاهل وإما صاحب سوء أدب"[١٩].

وحدة الأديان:

ونتج عن قوله بوحدة الوجود، قوله بعد ذلك بوحدة الأديان، لذلك نجده يدافع عن من يعبد الأحجار والأصنام ومن يعبد المسيح ومن يعبد الكواكب، فكلهم سواء عنده مع من يعبد الله؛ لأنهم في الحقيقة ما عبدوا إلا الله؛ إذ ليس ثمة فرق بين خالق ومخلوق.

ويعبر ابن عربي عن مساواته بين الأديان جميعها في نظره بقوله:

لقد صار قلبي قابل كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنَّى توجهت
ركائبه فالحب ديني وإيماني[٢٠]

ويعتبر ابن عربي أن كل معبود من المعبودات وجه من وجوه الله، ويفسر قوله تعالى: (( وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ )) [الإسراء:٢٣] قائلا: حكم وقدر أزلا أنكم لا تعبدون غير الله مهما تكن صور معبوداتكم"[٢١]، وعلى هذا فالذي يعبد الحجر والشجر والكواكب هو في الحقيقة عند ابن عربي لا يعبد إلا الله وبالتالي ليس هناك فرق بين دين وآخر.

**ادعى ابن عربي أن الولاية أعلى وأرفع من النبوة والرسالة**

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد استعراضه لأقوال ابن عربي في كتابه الفصوص: "لهذا جعل صاحب هذا الكتاب عباد العجل مصيبين، وذكر أن موسى أنكر على هارون إنكاره عليهم عبادة العجل"، ويضيف ابن تيمية أن ابن عربي وأمثاله يجعلون فرعون من كبار العارفين المحققين، وأنه كان مصيبا في دعواه الربوبية.

قوله في النبوة:

ادعى ابن عربي أن الولاية أعلى وأرفع من النبوة والرسالة، وادعاؤه أنه هو خاتم الأولياء، وأن الأنبياء والرسل تحت لوائه، ويأخذون من علومه.

يقول ابن عربي في "الفصوص" - وهو يتحدث عن وحدة الوجود- : وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء، وما يراه أحد من الأنبياء أو الرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى إن الرسل لا يرونه - متى رأوه- إلا من مشكاة خاتم الأولياء؛ فإن الرسالة والنبوة - أعني نبوة التشريع ورسالته- تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبدًا، فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء"[٢٢].

وقال ابن عربي:

مقام النبــوة في بـرزخ

فويق الرسول ودون الولي[٢٣]

وينقل ابن تيمية عنه قوله: إن خاتم الأنبياء إنما يرى العلم من مشكاة خاتم الأولياء وإن خاتم الأولياء يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى خاتم الأنبياء(٢٤). أي أنه يزعم أنه يأخذ من الله بلا واسطة والنبي يأخذ بواسطة.

وادعى ابن عربي أنه هو خاتم الأولياء؛ حيث أخبر أنه رأى سنة (٥٩٩ هـ) حائطًا من ذهب وفضة إلا موضع لبنتين إحداهما من ذهب والأخرى من فضة، فانطبع في موضع تينك اللبنتين قال: وعبرت الرؤيا بانختام الولاية بي، وذكرتها للمشايخ والكاملين المعاصرين فعبروها بما عبرتها به"[٢٥].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "درء تعارض العقل والنقل": "وصار كل من هؤلاء يدعي النبوة والرسالة، أو يريد أن يفصح بذلك، لولا السيف"، كما فعل السهروردي المقتول، فإنه كان يقول: لا أموت حتى يقال لي: قم فأنذر، وكان ابن سبعين يقول: لقد زرَّب ابن آمنة حيث قال: لا نبي بعدي. ويقال إنه كان يتحرى غار حراء لينزل عليه الوحي.

وابن عربي ادعى ما هو أعظم من النبوة عنده، وهو خاتم الولاية، وخاتم الأولياء عنده أفضل من خاتم الأنبياء في العلم بالله.

❖- أسلوبه في الكتابة:

اعتمد ابن عربي في كتابة مؤلفاته على لغة مبهمة عن قصد؛ حيث كان يكثر من استعمال لغة الرمز والإشارات؛ نظرا لأن الأمة لم تكن لتقبل إلحاده وانحرافه إن صرح به، وهذا الأسلوب الذي اعتمده ابن عربي تأثر فيه بالفرق الباطنية الضالة كالإسماعيلية وكتابات إخوان الصفا وغيرهم، يقول أبو العلا عفيفي: يغلب على ظني أنه يعتمد تعقيد وإخفاء الظاهر لأغراض في نفسه، فعباراته تحتمل في أغلب الأحيان معنيين على الأقل، أحدهما ظاهر وهو ما يشير به إلى ظاهر الشرع والثاني باطن وهو ما يشير به إلى مذهبه، ولو أن من يعمق النظر في معانيه ويدرك مراميه لا يسعه القول بأن الناحية الثانية هي الهدف الذي يرمي إليه، أما ما يذكره مما له صلة بظاهر الشرع فإنما يقدمه إرضاء لأهل الظاهر من الفقهاء الذين يخشى أن يتهموه بالخروج والمروق... وقد كان ابن عربي يشعر دائما بهذه الثنائية في أسلوبه، كما كان دائما على استعداد لأن ينتقل بقارئه من لسان الظاهر إلى لسان الباطن أو العكس، وسئل مرة عما يعنيه بقوله:

يا من يراني ولا أراه

كم ذا أراه ولا يراني

مشيرا بذلك إلى مذهبه في وحدة الوجود وأنه يرى الحق في صور أعيان الممكنات ولا يراه الحق؛ لأنه هو المتجلي في صورته، فأجاب على فوره:

يا من يراني مجرما

ولا أراه آخذا

كم ذا أراه منعما

ولا يراني لائذا[٢٦]

ولعل أسلوبه هذا هو الذي حماه من مصير الحلاج والسهروردي الذين قتلا بسبب إلحادهما.

يقول د. محمد إبراهيم الفيومي: "ويبدو أن تسلل الخوف إلى ابن عربي من سفك دمه وخاصة بعد الحلاج والسهروردي جعله يكتم كثيرا من الأسرار، وينقل عن ابن عربي قوله: "ولولا قطع البلعوم لأظهرت هنا سرًّا يهتز له العرش وما حوله، ولكن في هذا تنبيه وغنية"[٢٧].

## الهوامش

١- الفتوحات المكية (٦٤٨/٤) - طبعة بولاق القاهرة، وانظر (ص ١١) "ابن عربي حياته ومذهبه" - أسين بلاثيوس ترجمة عبد الرحمن بدوي - طبعة المكتبة الأنجلو المصرية.

٢- الشيخ الأكبر ابن عربي، صاحب الفتوحات المكية لمحمد إبراهيم الفيومي - الدار المصرية اللبنانية - (ص ٢٦).

٣- ابن عربي حياته ومذهبه" سابق (ص٢٦٠)

٤- ابن عربي، سابق (ص٢٦٠).

٥- التصوف المنشأ والمصدر لإحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنُّة، لاهور، (ص ٧٤).

٦- الشيخ الأكبر ابن عربي ، سابق (ص ٢٨).

٧- الشيخ الأكبر ابن عربي ، سابق (ص ٣٠)، بتصرف.

٨- الفتوحات المكية (١٦٦/٣).

٩- الفتوحات المكية (٣ /٢٢٨).

١٠- ابن عربي حياته ومذهبه ، سابق (ص ٢٥٧).

١١- ابن عربي حياته ومذهبه ، سابق (ص٢٧١).

١٢- مقدمة ابن خلدون، دار الفجر للتراث القاهرة، (ص٥٨٤).

١٣- نقلًا عن خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء.. رسالة ماجستير من إعداد الصادق بن محمد بن إبراهيم، طبعة مكتبة الرشد، (ص١٠٣).

١٤- الشيخ الأكبر ابن عربي، سابق (ص٢٣)

١٥- فصوص الحكم، ابن عربي ص ٦٨، دار الكتاب العربي، بيروت، مقدمة د.أبو العلا عفيفي (ص٢٥).

١٦- الفتوحات المكية (٤٥٩/٢).

١٧- ديوان ابن عربي (ص٤٣٢)، نقلا عن حقيقة العبادة عند ابن عربي، كرم أمين أبو كرم، دار الأمين، القاهرة، (ص٥٠).

١٨- ديوان ابن عربي (ص٤٣٢)، نقلا عن حقيقة العبادة، سابق (ص ٥٠).

١٩- فصوص الحكم، تحقيق أبو العلا عفيفي (ص ٦٨).

٢٠- ترجمان الأشواق، بيروت طبعة ١٩٦١، (ص ٤٣)، نقلا عن ثلاث حكماء مسلمين، "سيد حسين نصر"، دار النهار للنشر، (ص١٥٣).

٢١- الفصوص، سابق (ص ٣٣).

٢٢- الفصوص، (ص٦٢ ).

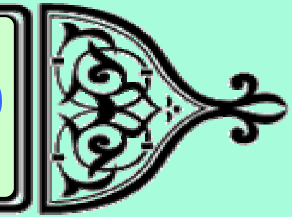
٢٣- رسالة في الرد على ابن عربي في دعوى إيمان فرعون، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (ص٨).

٢٤- رسالة في الرد على ابن عربي، سابق (ص٤).

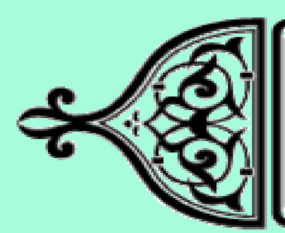
٢٥- الفتوحات (٦٨/٥- ٧٠)، انظر مقالة عقيدة ختم الولاية عند الصوفية لمحمد أحمد لوح، العدد الثاني من (مجلة الصوفية).

٢٦- فصوص الحكم، سابق (ص ١٧، ١٨).

٢٧- مشاهد الأسرار، نقلا عن الشيخ الأكبر ابن عربي ، سابق، (ص ٥٧).



# وقفات مع المولد النبوي



محمد البلشه

مقـــــالات

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد:-

فإن الاحتفال والاحتفاء برسول الله صلى الله عليه وسلم حتم لازم، وفرض واجب على كل أحد، كيف لا؟ وهو أعظم الخلق نفعًا للخلق في دينهم ودنياهم، ومن تأمل حال الناس قبل بعثته صلى الله عليه وسلم - أومن دون تأمُّل- علم ذلك جيدًا، ورآه واضحًا ؛ فقد كانوا في ضلالٍ، وعمىً، وغوايةٍ،وظلمٍ، وظلماتٍ، وجهلٍ، وجاهليةٍ، وشرٍّ، قبائلَ متنافرةً، يُغير بعضهم على بعض،فيقتل قويُّهم الضعيف، فتُرمَّل النساء، وتُيَتَّم الأطفال، وتؤكل الأموال بالباطل، وهذا عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهليُّ، وصَف حالَهم - في الجاهلية- ، فقال في معلقته:

لنا الدنيا ومن أضحى عليها

ونَبطِشُ حين نبطش قادرينا

بغاةً ظالمين وما ظلمنا

ولكنَّا سنبدأ ظالمينا !

كان دينهم العصبيةَ القبليةَ، يُحسِن أحدهم إذا أحسنت قبيلته، ويُسيئ إذا أساءت، قال قائلهم:

وما أنا إلا من غُزَيَّةَ إن غوَتْ

غويت وإن تَرْشُدْ غُزَيَّةُ أرشُدِ

ويكفي القارئَ الكريمَ تبصرةً بقبح ما كان عليه الجاهليون من سُفُولٍ في أخلاقهم - هذا الحديث- ؛ فعن عائشة رضي الله عنها:"أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليَّته أو ابنته فيُصدقها ثم ينكحها ، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طَمْثِها أرسلي إلى فلان فاستَبْضِعِي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدًا حتى يتبين حملُها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبةً في نَجابَة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافَة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالْتاطَ به ودُعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم " أخرجه البخاري (٥١٢٧).

وهذا شيء من أشياء، قليل من كثير، غيض من فيض، وفي وسط هذا الظلم وهذه الظلمات، وذالك العمى، وتلك الضلالات، ولد نور وهدى، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأحياهم الله به بعد موتهم، وهداهم به بعد ضلالهم، وأعزهم به بعد ذلهم، وقواهم به بعد ضعفهم، وفتح به أعينهم العمي، وآذانهم الصمَّ، وقلوبهم الغُلْفَ.

قد كان هذا الكون قبل مجيئه

شؤمًا لظالمه وللمظلوم

لما أطل محمد زكت الربى

واخضر في البستان كل هشيم

وإن المسلمين - والحمد لله - لديهم عاطفة الحب للنبي صلى الله عليه وسلم - وإن اختُلِفت صورُ التعبير عنه - ومن تلك الصور التي يُعبِّر بها عُظْمُ المسلمين عن حبهم له صلى الله عليه وسلم، واحتفائهم به:إقامة الاحتفال بيوم مولده. وإليك - أيها الرشيد - هذه الوقفات، أبين لك فيها بعضَ ما يجب بيانُه عن هذه المناسبة، من غير تطويل يُمِلُّ، ولا تقصير يُخِلُّ، والله وحده المسئول أن ينفع بها كاتبها،

وقارئها، وسامعها.

الوقفة الأولى: هل إقامة المولد مشروعة ؟

إن أي عبادة، لابد أن تتصف بالشرعية، بمعنى أنها تحتاج إلى دليل شرعي يدل عليها، فلا عبادة إلا بنص، وقد نظر العلماء - قديما وحديثًا - في موارد الشريعة، فلم يجدوا شيئًا يُفيد - من قريب أو بعيد - مشروعيةَ عمل المولد ومِن ثَمَّ حكموا عليه بالبدعية، وهذه بعض أقوالهم: -

قال ابن تيمية رحمه الله: " أما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية، كبعض ليالي شهر ربيع الأول التي يقال: إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي رجب، أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن شوال الذي يُسَمِّيهِ الجهال عيد الأبرار، فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها ". أهـ [ الفتاوى المصرية (٣٣٨/١) ].

وقال ابن الحاجِّ المالكي رحمه الله: " ومن جملة ما أحدثوه من البدع، مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات، وإظهار الشعائر: ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد ". اهـ. [المدخل (٣/٢)].

وقال أيضا: (هو بدعة بنفس نيته فقط، إذ إن ذلك زيادة في الدين، وليس من عمل السلف الماضين، واتباع السلف أولى، بل أوجب... ولم يُنقل عن أحد منهم أنه نوى المولد ونحن لهم تبع، فيسعنا ما وسعهم). اهـ [المدخل ( ١٠/٢)].

وقال عمر بن علي الفاكهاني رحمه الله: " لا أعلم لهذا المولد أصلًا في كتاب ولا سنة، ولا يُنقل عملُه عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة، أحدثها البطَّالون، وشهوة نفس اعتنى بها الأكَّالون ". أهـ. المورد في عمل المورد ( ص/ ٨ - ٩ ).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " أصل عمل المولد بدعة لم تُنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ". اهـ. من (سبل الهدى والرشاد) ( ٤٤٤/١ ).

وقال الشُّقَيرِي رحمه الله: "فاتخاذ مولده موسمًا، والاحتفال به بدعة منكرة ضلالة لم يرد بها شرع ولا عقل، ولو كان في هذا خير، كيف يغفل عنه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسائر الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، والأئمة، وأتباعهم ؟ ". السنن والمبتدعات ص (١٣٨-١٣٩).

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: " لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا غيره ؛ لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولاغيرهم من الصحابة رضوان الله علي الجميع ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حبًّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومتابعةً لشرعه ممن بعدهم". اهـ. راجع رسالة "حكم الإحتفال بالمولد النبوي".

وبعد هذه النقول يتبين للقارئ بوضوح بدعيةُ الاحتفال بيوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأيِّ مَظهر من مظاهر الاحتفال، والله أعلم.

الوقفة الثانية: تقرب لا يزيد إلا بعدا، وتحبب لايزيد إلا بغضا !

فغير جائز في الشرع، ولا مقبول في العقل، أن يكون الاحتفاء برسول الله صلى الله عليه وسلم حَيْدَةً عن دينه وشرعه، وابتعادًا عن هديه وسُنته، ومخالفةً لسبيل المؤمنين ! غير سائغ أن يُعَبَّرَ عن محبته، وتعظيمه، وتبجيله، وتكريمه، بما ينقض ذلك كلَّه ؛ فهذا من مفارقات الحياة، ومن التناقض بالمكان الذي لا يخفى على غبيٍّ أو نَبيهٍ، رشيدٍ أو سفيهٍ. ومع ذلك فقد أبى عُظْمُ المسلمين إلا أن يفعلوا المحظور شرعًا، الممنوع عقلًا، المستهجن عرفًا ؛ فاحتفلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ببدعة ما أنزل الله بها من سلطان، احتفلوا به بالغُلُوِّ والإطراء الذي منعه، احتفلوا به بالموسيقى والغناء الذي حرمه، احتفلوا به بالسَّرَفِ الذي نهى عنه، احتفلوا برفع الرايات، ونصب الأعلام، وتعليق الأنوار، ووضع الزينات، وزخرفة المساجد، ودقِّ الطُّبُول، وذبح الذبائح، وأكل الحلوى ! إلى آخر هذه المَعَايِرِ الظاهرة.

وصدق فيهم القائل:

لو أن رسول الله عاد إليكمو
لنادى، ونادى، ثم صاح مناديا
يا أمة الإسلام أين شريعتي
وأين تعاليمي، وأين مباديا
وأين الجهاد الحق في الله ربكم
وأين اليقين الصدق فيما أتى ليا
نسجت لكم نسجا من المجد
والتقى، فمزقتمو نسجي وكنتم أعاديا

تقيمون لي الذكرى بدف وراية
وذكراي أن تمضوا كما كنت ماضيا
وأن تجعلوا الإحياء درسا يفيدكم
ويجعلكم سادة الكون ثانيا
حياتي لكم درس ونهجي لكم هُدى
وخير الهُدى هَديي لمن جد راجيا

حالهم في هذا الاحتفال كالذي قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ❖ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

حالهم كما قيل:

سارت مُشرِّقةً وسِرتُ مُغَرِّبًا
شتَّانَ بين مشرقٍ ومغربِ

إن أيَّ أحد من العالمين لا يرضى أبدًا أن يُقيمَ له أتباعه احتفالًا - في كل عام مرة – ثم هم – في كل حينٍ – يخالفون أمره، ويركبون نهيه، ويتعدون حدوده، ويضيعون سنته، ويهملون هديه، وياليتهم إذ احتفلوا فعلوا ما يحبه، إنما تلبسوا بما يبغضه، ولا يرضاه !.... فأيُّ احتفالٍ هذا ؟ وأي تقرُّبٍ ؟ ! ولكنها فتنه شَبَّ عليها الصغير، وشاب فيها الكبير، وظنها الناس سُنَّةً، وصدق ابن مسعود رضي الله عنه إذ قال: " كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يَهْرَم فيها الكبير، ويَرْبُو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، فإذا غُيرت، قالوا: غيرت السنة ". (أخرجه الدارمي (١٨٥) وابن وضَّاح في "البدع والنهي عنها" (٨٥)، وهو في "صحيح الترغيب (١٠٦) ).

الوقفة الثالثة: حب حقيقي، واتباع صادق:

قال تعالي: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

قال ابن القيم: " فعُلِمَ انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة، فانتفاء محبتهم لازم لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم، فيستحيل إذن ثبوت محبتهم، وثبوتُ محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم ". اهـ.

وقال تعالي: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فا تباع النبي صلى الله عليه وسلم رَكِيزَةٌ من ركائز ديننا، ووجوبه من المعلوم منه بالضرورة، وإنه من صفات المؤمنين،

قال تعالي: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

قال ابن كثير: " يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير مُمانعة ولامُدافعة ولا مُنازعة " اهـ.

وقد أحرز الصحابة الكرام قَصَبَةَ السَّبْقِ، وحازوها، وضربوا أروع الأمثلة في هذا الباب، ومواقفهم وقصصهم وأقوالهم في ذلك أكثر من أن تُحْصَرَ، وأشهر من أن تُشْهَرَ، ونحن نعطر المقال بذكر بعضها:

قال أبو بكر رضي الله عنه: " لست تاركًا شيئًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملتُ به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ ".

وقال عمر: " ألا وإنا نقتدي ولا نَبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ما نَضِلُّ ما تمسكنا بالأثر ".

يقول عابس بن ربيعة: "رأيت عمر يُقبِّلُ الحجر (يعني الاسود)، ويقول: إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ".

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: " أيها الناس، لا تبتدعوا، ولا تنطعوا، ولا تعمقوا، وعليكم بالعتيق ".

وقال - أيضا -: " اتبعوا اثارنا ولا تبتدعوا، فقد كُفِيتم ".

ومما أُثِر عن شيخ المتبعين للنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر رضي الله عنه: " أنه كان في طريق مكة يقول برأس راحلته يَثْنِيها، ويقول لعلَّ خفًا يقع لي علي خفٍ ".

يعني خفَّ راحلة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال عاصم الأحول، عمن حدثه: " كان ابن عمرإذا رآه أحد ظن أن به شيئًا، من تتبعه آثارَ النبي صلى الله عليه وسلم ".

وعن مجاهد رحمه الله قال: "كنا مع ابن عمر رحمه الله في سفر، فمر بمكان، فحاد عنه، فسئل: لِمَ فعلت ذلك ؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ؛ ففعلت".

بل قال نافع مولى ابن عمر: "لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع أثر النبي صلى الله عليه وسلم، لقلت: هذا مجنون".

وهذا مُطَّرِدٌ في الصحابة كلهم رضي الله عنهم، ولسان الحال منهم يقول:

لو قلت لي مِتْ مِتُّ سمعًا وطاعة
وقلت لداعي الموت أهلًا مرحبًا

ويقول:

إن هواك الذي بقلبي
صيرني سامعًا مطيعًا

ويقول:

أريد وصاله، ويريد هجري
فأترك ما أريد لما يريد

فلله دَرُّهم، ما أصدقَ حبَّهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ! وما أشدَّ تعظيمَهم إياه !

سئل علي رضي الله عنه: كيف كان حبُّكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال: " كان والله أحب إلينا من أموالنا، وأولادنا، وآبائنا، وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ ".

وقد شهد بهذا أعداؤهم، قال أبوسفيان - لما كان مشركًا- : " ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمدٍ محمدًا"!

ومع هذا الحب الصادق له صلى الله عليه وسلم، فإنهم لم يحتفلوا بيوم ولادته، ولا غيره من الأيام العظيمة، كيوم بعثته، أويوم هجرته، أو يوم بدر، أو يوم الفتح الأكبر، مع وجود المقتضي والسبب، وهذا مَصِيرٌ منهم إلى أن ذلك ليس فيه منفعة ولا خير، وليس بينه وبين محبة النبي صلى الله عليه وسلم نسب - من قريب أو بعيد- ، ولو كان كذلك لفعلوه ؛ إذ هم أحرص الناس على الخير وأكملهم حبًّا للرسول، وأشدهم توقيرًا له، فأنعِمْ بهم من جيل.

فأين - من هذا- حبُّ أبناء الزمان، الذين يقيمون له مولدًا، ويدَّعون محبته، ثم هم لا يقفون عند حدوده، ويهجرون سنته وسيرته، الذين وُصِفوا بقول القائل:

رضُوا بالأماني وابتُلُوا بحظوظهم
وخاضُوا بحارَ الحب دعوى وما ابتَلُّوا
فهم في السُّرَى لم يبرحوا من مكانهم
وما ظعنوا في السير عنه وقد كَلُّوا

ألا يحسُن بهؤلاء الذين أعْيَتهم التكاليف، وأتْعَبَتْهم السنن أن ينزعوا عن التفريط ويرجعوا إلى خير الهَدْيِ والهُدَى، ويسعهم ما وسع سلفهم ؟

الوقفه الرابعة: حقائق عن المولد:-

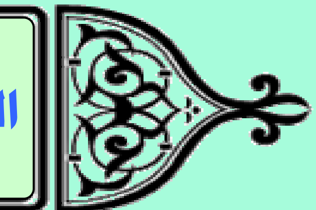
أولا: أول من أحدثه هم العُبَيديُّون الذين أطلقوا على أنفسهم زورا: اسم الفاطميين، وقصدهم: إفساد دين المسلمين وإماتة السنة، ونشر مذهب الشيعة الإسماعيلية الباطنية،وقد صرح كثيرون من أهل التأريخ بذلك.

قال العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي: " مما أُحدث وكثر السؤال عنه الموالد، فنقول: إن اول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون، وأولهم المعز لدين الله توجه من المغرب إلى مصر في شوال سنة (٣٦١) إحدى وستين وثلاثمائة هجرية، فوصل إلى ثغر إسكندرية في شعبان سنة (٣٦٢ ) اثنتين وستين وثلاثمائة،ودخل القاهرة لسبعٍ خَلَوْنَ من شهر رمضان في تلك السنة فابتدعوا ستة موالد:المولد النبوي، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد الخليفة الحاضر. وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش... وفي خلافة الآمر بأحكام الله أعاد الموالد الستة المذكورة قَبْلُ، بعدَ أن أبطلها الأفضل وكاد الناس ينسونها ". اهـ. [انظر " أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام " ( ص/ ٤٤ - ٤٥ )].

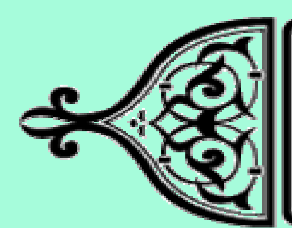
ثانيا: اختلف العلماء في تحديد يوم الولادة اختلافًا كثيرًا.

يقول المقريزي: " وُلد محمد صلى الله عليه وسلم بمكة، في دار عُرفت بدار ابن يوسف، من شِعْب بني هاشم، يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، وقيل: لليلتين خلتا منه، وقيل: وُلد في ثالثة، وقيل: في عاشرة، وقيل: وُلد يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من رمضان حين طلع الفجر... وذلك عام الفيل، وقيل: بعد قدوم الفيل بمكة بخمسين يومًا، وقيل: بشهر، وقيل: بأربعين يومًا، ... وقيل: وُلد بعد الفيل بثمانية وخمسين يومًا، وقيل: بعده بعشر سنين، وقيل: بعده بثلاثين عامًا، وقيل: قبل الفيل بخمسَ عشرةَ سنةً، وقيل: قبله بأربعين عامًا، وقيل: وُلد يوم الفيل، وقيل: وُلد سنة ثلاث وعشرين للفيل، وقيل: في صفر، وقيل: يوم عاشوراء، وقيل: في ربيع الأخر ". اهـ. [ إمتاع الأسماع ( ٦/١ -٧ ) ].

فالجزم به رجم بالغيب ورَوْمُ مُحَال، وضَرْبُ من الخيال.



# الشيخ/ محمد جميل زينو



هؤلاء تركوا التصوف

يقول حفظه الله عن نفسه: ولدتُ في مدينةِ حلب بسورية، ولما بلغت العاشرة من عمري التحقتُ بمدرسة خاصة تعلمت فيها القراءة والكتابة، ثم التحقت بمدرسة دار الحفّاظ لمدّة خمس سنين حفظتُ خلالها القرآن الكريم كاملاً ولله الحمد، ثم التحقت بما يسمى آنذاك بالكلية الشرعية التجهيزية - وهي الآن الثانوية الشرعية - وهي تابعة للأوقافِ الإسلامية، وهذه المدرسة تجمع بين تدريس العلوم الشرعية والعصرية.

وأذكر أنّني درست فيها علم التوحيد في كتاب اسمه: ((الحصون الحميدية)) ،والذي يقرّر فيه مؤلفهُ توحيد الربوبية، وأن لهذا العالم رباً وخالقاً! وتبين لي في ما بعد خطأ هذا المنهج في تقرير العقيدة، فإن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق: (( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ... ))[الزخرف:٨٧]، بل إن الشيطان الذي لعنه الله كان مقراً بذلك، (( قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ))[الحجر:٣٩]، أما توحيد الإله الذي هو الأساس والذي به ينجو المسلم، فلم أدرسه ولا كنت أعلم عنهُ شيئاً.

## كنت نقشبندياً:

لقد كنت منذ الصغر أحضر الدروس وحلقات الذكرِ في المساجد، وقد شاهدني شيخ الطريقة النقشبندية فأخذني إلى زاوية المسجد، وبدأ يعطيني أوراد الطريقة النقشبندية؛ ولكن لصغر سني لم أستطع أن أقوم بها، لكني كنت أحضر مجالسهم مع أقاربي في الزوايا، وأستمع إلى ما يردّدونهُ من أناشيد وقصائد، وحينما يأتي ذكر اسم الشيخ كانوا يصيحون بصوتٍ مرتفعٍ، فيزعجني هذا الصوت المفاجئ، ويسبب لي الرعب والهلع، وعندما تقدمت بي السن بدأ قريب لي يأخذني إلى مسجدِ الحيّ لأحضر معه ما يسمى بالختمِ، فكنا نجلسُ على شكلِ حلقةٍ فيقوم أحد الشيوخ ويوزع علينا الحصى، ويقول: "الفاتحة الشريفة، الإخلاص الشريف" ، فنقرأ بعدد الحصى سورة الفاتحة والإخلاص، والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالصيغةِ التي يحفظونها، ويجعلون ذلك آخر ذكرهم. ثم يقول الشيخ ذكرهم، لأن الشيخ –بزعمهم– هو الذي يربطهم بالله؛ فيهمهمون، ويصيحون، ويعتريهم الخشوع، حتى إن أحدهم ليقفز فوق رؤوس الحاضرين كأنّه البهلوان من شدّة الوجد ... إلى آخر ما كانوا يفعلونهُ من البدعِ المحدثةِ التي ما أنزل الله بها من سلطان.

## كيف اهتديت إلى التوحيد؟

كُنتُ أقرأ على شيخي الصوفي في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله).

فأعجبني شرح النووي حين قال: "ثم إن كانت الحاجة التي يسألها، لم تجر العادة بجريانها على أيدي خلقه، كطلبِ الهداية والعلم .. وشفاء المرض وحصول العافية سأل ربه ذلك.وأما سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمذموم".

فقلت للشيخ: هذا الحديث وشرحه يُفيدان عدم جواز الاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليهِ إلا الله.

فقال لي: بل تجوز!!

قلت: وما الدليل؟

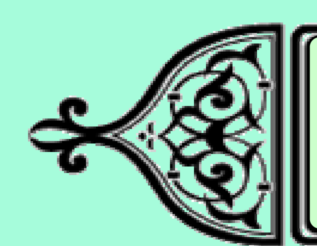
فغضب الشيخ وصاح قائلاً: إن عَمتي تقول يا شيخ سعد (وهو من الأولياء المزعومين الأموات) ، فأقول لها: يا عمتي وهل ينفعك الشيخ سعد؟ فتقول:أدعوه فيتدخل على الله فيشفيني!!

فقلت لهُ: إنك رجل عالم قضيت عمرك في قراءة الكتب، ثُم تأخذ عقيدتك من عمتك الجاهلة!!

فقال لي: عندك أفكار وهابية! (نسبة إلى الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله) وكُنتُ لا أعرف شيئاً عن الوهابية إلا ما أسمعه من المشايخ:فيقولون عنهم:إنهم مخالفون للناس، لا يؤمنون بالأولياء وكراماتهم المزعومة، ولا يحبون الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم .. إلى غير ذلك من التهم الكثيرة الكاذبة التي لا حقيقة لها.

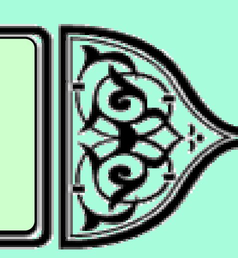
فقلت في نفسي: إذا كانت الوهابية تؤمن بالاستعانة بالله وحده، وأن الشافي هو الله وحده، فيجب أن أتعرّف عليها.

وبحثت عن هذه الجماعة، فاهتديت إليها.كان لهم لقاء مساء كل خميس يتدارسون فيه التفسير والفقه والحديث ،فذهبت إليهم بصحبةِ أولادي وبعض الشباب المثقّف .. فدخلنا غرفة كبيرة .. وجلسنا ننتظر الدرس .. وبعد برهة من الزمن دخل الشيخ، فسلّم علينا، ثم جلس على مقعده، ولم يقم لهُ أحد؛فقلتُ في نفسي: هذا الشيخ مُتواضعٌ، لا يُحِب القيام، ومن هنا بدأت رحلتي إلى التوحيدِ الخالصِ، والدعوةِ إليهِ، ونشرهِ بين الناس اقتداء بسيدِ البشرِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وإني لأحمد الله - عز وجل - الذي هداني لهذا، وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله، والحمد لله أولاً وآخراً.



# حوار مع الدكتور/ محمد السيد الجليند

حاوره: محمد عبد العزيز الهواري



حوار لا تنقصه الصراحة مع أستاذ الفلسفة المتخصص في الشأن الصوفي د. محمد السيد الجليند.

أرى أن التصوف أصبح ظاهرة سياسية وليس سلوكًا عباديًّا لله تعالى!!

الطرق الصوفية أصبحت طرقًا لكسب العيش!!

الطرق الصوفية تتبنى التقية الشيعية!!

موقف المستشرقين من قضايا الفكر الإسلامي مملوء بالعثرات!!

الأستاذ الدكتور/ محمد السيد الجليند في سطور

أمين اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذه في العلوم الإنسانية

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة الإسلامية

دار العلوم - جامعة القاهرة

**الصُّوفِيَّة** لم يكن مصطلح التصوف موجودًا في القرن الأول، ولكنه ظهر في أواخر القرن الثاني على رأي كثير من الباحثين في الشأن الصوفي، فكيف تكوَّن هذا المصطلح؟ وهل كان له أسس في القرن الأول مثل قول البعض: إنه يرجع إلى أهل الصفة الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟

حقيقة كلمة التصوف لم تظهر في القرن الأول الهجري ولا في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ولكن ربما ظهر في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث كمصطلح له دلالة معينة ويطلق على أناس معينين، لهم سلوك خاص ولهم مواقف من بعض القضايا السلوكية والأخلاقية والشرعية.

في القرن الأول الهجري عصر الرسالة وعصر الصحابة والتابعين ما وجد لفظ القراء أو المحدثين أو أهل البيعة أو أهل بدر، هذه الألقاب هي التي كان يتعامل بها أبناء القرن الأول الهجري وأبناء النصف الأول الهجري على اعتبار أنها أشرف الألقاب، ولم يظهر هذا المصطلح - التصوف- إلا على يد عبد الواحد بن زيد الذي اشتهر بأنه كانت له خلوة ينقطع فيها عن الناس فترة معينة ويتعبد فيها ويمارس بعض الطقوس المعينة، وأطلق عليه هذا المصطلح لا للباسه الصوف أو الأثواب الخشنة، ولكن لأن سلوكه كان امتدادا لأهل الصفة الذين أقاموا في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم إقامة كاملة فظن البعض أنهم يقيمون في المسجد قصدًا للعبادة وعزوفًا عن المشاركة في العمل وعزوفًا عن طلب الدنيا، فظنوا أن هذا الانقطاع مقصود لذاته، وهذا خطأ في تفسير موقف أهل الصفة؛ لأن أهل الصفة كما ثبت في الروايات الصحيحة كانوا يقيمون في مسجد الرسول حتى يتسنَى للواحد منهم مكان آخر يخرج من المسجد ليقيم فيه، وقد كانوا يمارسون أعمالهم في النهار طلبًا للقمة العيش؛ لأن العزوف عن الدنيا والانقطاع للعبادة وأن يعيش المرء عالة على غيره مرفوض إسلاميًّا، فكان أهل الصفة يمارسون أعمالهم ثم يأتي الليل فيأتون وينامون في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، لذلك كانت أعدادهم تتراوح بين الزيادة والنقصان، فمن سنحت له الفرصة أن يخرج من مسجد الرسول يخرج ثم يأتي آخرون مهاجرون فيسكنون في المسجد وهكذا، فلم تكن إقامتهم في المسجد مقصودة لذاتها إنما كانت ضرورة دعت إليها حاجة المدينة حين ضاقت بكثرة المهاجرين، حاول الصوفية فيما بعد أن يربطوا بين سلوك عبد الواحد بن زيد وشخص آخر يدعى: عبدك الصوفي وبين سلوك أهل الصفة، فقد اختلفت الروايات في أول من أطلق عليه صوفي هل هو عبدك الصوفي أم عبد الواحد بن زيد، ولكن الروايات التي اعتمدها ابن تيمية أنه عبد الواحد، وكان ذلك في حوالي ١٥٠ هـ تقريبًا، وهذا الربط ليس صحيحًا، كما حاول البعض أن يربط بين اصطلاح صوفي ولبس الصوف، كما حاول البعض أن يربط بينه وبين صفاء القلب لكثرة ممارسة العبادة والانقطاع عن العبادة، والبعض يربط الكلمة بالمصطلح اليوناني صوفيزم، وهذه كلها اجتهادات تنبئ عن اهتمام المؤرخين للفكر الإسلامي بالتصوف وبالصوفية، وبإيجاد نسب لغوي لهذه الكلمة، وكل ذلك لا يمس الجوهر الذي يبحث عنه الصوفي الذي يلتزم بما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم من نسك في الزهد ونسك في المحبة ونسك في المعرفة ونسك في الولاية وهذه القضايا الأربعة هي التي أسميها هي زبدة التصوف الإسلامي، فالتصوف كمصطلح محدث لكن كسلوك وممارسة ومعايشة قلبية أنا أعتبرها من جوهر الدين الإسلامي.

**الصُّوفِيَّة** بين المؤيدين للتصوف والرافضين له رفضًا مطلقًا أين تقف؟ ولماذا؟ وما الفرق في رأيكم بين سلوك المتصوفة أو ما يسمى الآن الطرق الصوفية وبين الأسس والقواعد التي بدا بها التصوف؟

هنا ينبغي أن نفرق بين التصوف كسلوك ينشد فيه الصوفي أحسن الطرق وأكثرها التزامًا بالكتاب والسنة في سلوكه لله تعالى وتقربه منه، وبين سلوك المتأخرين خاصة بعد القرن الرابع الهجري، لماذا؟ علينا أن نعلم أن الدين

الإسلامي بل أي دين صحيح نزل ليعالج مشاكل البنية الإنسانية في جانبيها الروحي والمادي، وكذا الإسلام جاء ليعالج الجانب المادي والجانب الروحي للإنسان، فالجانب المادي جاءت الشريعة الإسلامية لتبين للإنسان الممارسات الشعائرية التي يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، وجاءت كتب الأحاديث وفيها كتب كاملة تحت عنوان: الآداب "أدب الزيارة، أدب السلوك، أدب قراءة القرآن"، وهذه كلها ممارسات يلتزم بها المسلم، أما الجانب الروحي فما لم ينفعل قلب الإنسان بالسلوك الظاهري الذي يمارسه من خلال معرفته بأحكام الشريعة التي تضبط حركته في عباداته ومعاملاته وأخلاقياته، وتنعكس على قلبه الذي يتشربها اقتناعًا وتأثرًا ولا فائدة من هذه العبادة، وكل عمل يقوم به المرء ما لم يكن له رصيد قلبي لا ميزان له عند الله سبحانه وتعالى، وقد ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين أجر العمل وقيمة العمل في عبارة جامعة "إنما العمال بالنيات"، وإذا بحثنا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم سنجده كان سيد الزاهدين وكان سيد المحبين وكان سيد العارفين بالله والعارفين لله وكان سيد الأولياء.

فالزهد والمحبة والمعرفة والولاية كلها قضايا قرآنية مارسها الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته وأوصى بها الصحابة من خلال أحواله وأقواله، فالاقتداء به في هذه الأربعة هو عين التصوف، وفي الوقت نفسه هو جوهر الإسلام، فعند قراءة القرآن الكريم فإن آياته خاصة الآيات المكية تحاول أن تبني الإنسان من هذين الجانبين كما في سورة الفرقان وصف لعباد الرحمن وكما في سورة لقمان وصايا لقمان لابنه.

فأنا لا أرى هناك تناقضًا بين التصوف كمبادئ وقواعد سلوكية يمارسها المسلم وبين الكتاب والسنة، بل هي تطبيق عملي لما جاء في الكتاب والسنة، هذا موقف.

أما ما يمارسه الصوفية الآن وما مارسه الصوفية على امتداد التاريخ فهذا ينبئ عن خلط وخطأ وقع في المسيرة، ولا يصح أن نحكم عن التصوف من خلال سلوك المتصوفة، فهذا شيء وذاك شيء آخر، فالمبادئ صحيحة في ذاتها لكن الخطأ يقع في التطبيق، وقد كتبنا عن هذا منذ أكثر من عشرين سنة لنبين للشباب أنه عند ممارسة الأحكام لابد أن نفرق بين سلوك الصوفية وبين التصوف كمبادئ وقواعد سلوكية وقرآنية.

وبالطبع لا يصح أن نقبل ممارسة ابن عربي الحلاج وممارسات أصحاب الشطح الصوفي الذين يتكلمون عن الحقيقة والشريعة ويخلطون بينهما، كذا ممارسات الصوفية في العصر الحاضر التي لا تمت للإسلام بصلة، وإنما هي عادات ورثوها عن الدولة الفاطمية وعن بعض الشيعة، فهذا شيء والتصوف الصحيح شيء آخر.

**الصُّوفيَّة** إذا كان التصوف قد بدأ في رأيكم صافيًا في بدايته بعيدًا عن البدع فمتى دخلت فيه الانحرافات العقدية والشرعية؟ ومتى ظهرت الطرق الصوفية؟ وهل كان لها تأثير سلبي أم إيجابي على قواعد التصوف؟

نعم ....... نحن نعتبر القرن الثالث الهجري علامة فارقة في تاريخ التصوف الإسلامي، نستطيع أن نفرق في هذا القرن بين التصوف كما ورثه المسلمون عن القرنين الأول والثاني سلوكا صافيا ملتزما بالكتاب والسنة، متطابقا مع ما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال أحاديثه النبوية ووصاياه وما حدث بعد ذلك في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع من ما نسميه بالتصوف الفلسفي الذي دخل الإسلام مع بعض العناصر الفارسية التي مارست سلوكيات تحت اسم التصوف وهي متأثرة بالثقافة الهندية والثقافة الفارسية وبالغنوصية المسيحية، هذه الروافد الثلاثة كانت بوابة واسعة دخل من خلالها الانحراف في تاريخ التصوف الإسلامي فوجدنا بعض الصوفيه ابتداءً من أبي يزيد البسطامي، الشبلي، الحلاج، ذي النون المصري، يمارسون سلوكيات لم يرد عنها أثر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في أحاديثه، بل هي تتعارض تعارضا كاملا مع صحيح العقيدة الإسلامية، خاصة بعد ما ظهر على أيديهم ما يسمى بالشطح الصوفي أو الجذبة الصوفية التي يدعي فيها الصوفي أنه غاب عن نفسه فيما يسمى بالفناء الصوفي ووصل بهم الأمر إلى أن بعضهم صرح بعبارات تنبئ عن عقيدة فاسدة إذا كان يعتقدها وعن خطأ في الألفاظ إذا كان يقول ما لا يعي، كما قال بعضهم: ما في الجبة إلا الله، وكما قال الحلاج: سبحاني ما أعظم شاني، هذه العبارات ظهرت في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع لتنبئ عن أشياء غريبة دخلت في التصوف، هذه الأشياء نحن نسميها بالحلول والاتحاد ونسميها بالفناء الذي يغيب فيه الصوفي عن وجوده كما يدعي، بحيث يرى الله حالا في الأشياء متحدًا بها، فإذا سألته ما هذا؟ يقول: هذا تجلٍ إلهي.

هذه أشياء غريبة دخلت في التصوف الإسلامي وأثرت في مسيرته التاريخية ولما حاول بعض الصوفية كأبي حامد الغزالي أن ينقد التصوف من داخله سلط الأضواء على هذه النماذج، وحاول أن يتلمس لها المعاذير في كتابه المنقذ من الضلال، لكننا نجده أيضا وقع فيما وقع فيه غيره من استخدام ألفاظ ومصطلحات قد يراها البعض تتعارض مع صحيح العقيدة الإسلامية، ولكن ينبغي أن نعلم أننا هنا نتعامل مع ألفاظ قرأناها في كتبهم وعبارات نقلت عنهم في مؤلفاتهم أو مؤلفات غيرهم، هل كانوا يعتقدون ما يقولون أو لا يعتقدون؟ هذه قضية ينبغي أن نسلم الأمر فيها لله سبحانه وتعالى؛ لأننا لم نؤمر بالتفتيش عما في قلوب الناس، وإنما نحن نتعامل ونحكم على أقوال وكلمات وردت في مؤلفاتهم أو نصوصهم.

الشق الأخير من السؤال:

كلمة الطرق الصوفيه لم تظهر إلا في القرن الخامس الهجري حين حاول بعض الصوفية أن يجمع حوله بعض التلامذة أو المريدين يلقنهم بعض الأوراد في الذكر والدعاء

ويتعلمون منه كيفية الأذكار التي يراها هو أفضل الأذكار التي يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى، وظهر في التصوف ما يسمى بالقطب الصوفي أو الشيخ فيلتف المريدون حول هذا الشيخ يتعلمون منه كيفية الأذكار، وظهر ما يسمى بالورد وظهرت كلمة الطريقة مرتبطة بظهور الشيخ والتفات المريدين حوله فظهرت الطريقة الجيلانية، وظهرت الطريقة الحلاجية، وظهرت الطريقة الجنيدية نسبة إلى الجنيد والطريقة التسترية نسبة إلى سهل بن عبد الله التستري، وينبغي أن نفي هذه الطرق كانت في بداياتها أشبه بالمدارس التربوية التي تربي المريد على ذكر الله تبارك وتعالى وعلى الإخلاص والإتقان في العمل، ولكن تطورت فيما بعد بحيث أصبحت طرقا لكسب العيش ودخلها من الانحراف ما عدلها عن بداياتها الصحيحة التي قصدها أوائل أصحاب هذه الطرق، فبداياتها كانت صحيحة وأهدافها كانت صحيحة، وكانت أشبه بالمدارس التربوية، ولكن طرأ عليها الانحراف في المسيرة التاريخية كما نشاهده الآن عندنا في مصر من طرق كثيرة جدا تتبنى أورادًا كثيرة جدًّا وتسلك سلوكيات فيما يسمى بالموالد أو المناسبات الدينية بعيدة كل البعد عن صحيح الدين الإسلامي، وللأسف الشديد فإن الذين حكموا على التصوف الإسلامي نظروا إلى سلوك المتصوفة ولم ينظروا إلى حقيقة التصوف في بداياته الصحيحة.

**الصُّوفيَّة** في كتاب "الانتصار في ذكر أحوال المبتدعين وآخر المجتهدين" تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية، والذي قمت بتحقيقه وصدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بصفحة ١٤ أشرت إلى "أن المتصوفة مع حدة الخصومة مع ابن تيمية ينقلون ويحتكمون إلى أقواله" فما الدافع الذي حدا بهم إلى ذلك؟

هناك اتجاه غير صحيح من الدارسين لابن تيمية قرءوا موقف ابن تيمية من المتصوفه في رسائلة الصغيرة والكبيرة في موقفه من الحلاج وابن الفارض وابن عربي حتى في موقفه من الغزالي، وظنوا أن ابن تيمية حين هاجم انحرافات هؤلاء الصوفية فإنه بذلك رفض التصوف كمبادئ إسلامية وقواعد دينية ولم يفرقوا بين موقفة من المتصوفة وموقفه من التصوف؛ لأن شيخ الإسلام ابن تيمية له رسائل في التصوف هو وتلميذه ابن القيم تكلموا في هذه الرسائل كلاما ينبغي أن يكتب بماء الذهب، فابن تيمية له رسالة تسمى: "التحفة العراقية في الأعمال القلبية" وله رسالة تسمى "أمراض القلوب وشفاؤها" وله رسالة تسمى "الحسنة والسيئة" من أنفس ما كتب عن النفس الإنسانية، وله رسالة: "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"، والفرقان بين الحق والباطل، هذه كلها رسائل في صميم التصوف الإسلامي تفرق بين ما هو صحيح وما هو زائف من سلوكيات الصوفية، الذين قالوا بالحلول والاتحاد، والذين قالوا بوحدة الوجود، والذين قالوا بالفناء، بل لك أن تقرأ كتاب "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان" لابن القيم، وكتابه "طريق الهجرتين"، وكتاب "مدارج السالكين"، لك أن تقرأ كتاب ابن القيم وهو يشرح رسالة الإمام الهروي فله كتاب اسمه "الكلمات النقيات"، شرح فيه رسائل بعض الصوفية كالرسالة القشيرية، تكلم فيها كلاما يخاطب القلوب قبل أن يخاطب العقول، وكان القصد من هذه العبارة أن أبين أن ابن تيمية لم يحارب ولم يرفض التصوف؛ لأنه - كما قلت في أول هذا اللقاء- يرى أن قواعد التصوف ومبادئه قرآنية ولا ينبغي أن نحكم على هذه المبادئ وهذه القواعد من سلوكيات المتصوفة الغلاة، ولذلك فإن دارسي التصوف في عصرنا هذا يحاولون أن يصححوا مسيرة الصوفية المعاصرين من خلال كلام ابن تيمية المتهم بأنه ضد التصوف، هكذا أردت أن أبين أن ابن تيمية حينما نقد ابن عربي وحين رفض كلام الحلاج والبسطامي وغيرهم من غلاة الصوفيه لا ينبغي أن نتخذ هذا دليلا على رفضه للتصوف، وبمثل هذا فعل ابن القيم فهو لم يرفض التصوف وإن كان أخذ بسيرة شيخيه ابن تيمية في رفضه لدعاوى ابن عربي والحلاج وابن الفارض والبسطامي وغيرهم من أصحاب الشطح الصوفي أو من القائلين بالحلول والاتحاد، وهذه قضية على جانب كبير من الأهمية وهي أن نفرق في كتابات هؤلاء بين موقفهم من التصوف وموقفهم من انحرافات الصوفية.

**الصُّوفيَّة** بين يوم وليلة احتفى العالم الغربي بجلال الدين الرومي مؤسس الطريقة المولوية، فقام اليونسكو بالاحتفال به بمناسبة مرور ٨٠٠ عام على مولده، وأصدرت بهذه المناسبة ميدالية تذكارية شرفية باسمه، وهي المرة الأولى التي تمنح فيها اليونسكو شخصية تاريخية مثل هذه الاحتفالات، وإيطاليا تقوم بإنتاج فيلمًا عن حياته، ودور الأوبرا في أوروبا تحتفل به، في رأيكم لماذا هذا الاحتفاء المفاجأ بابن الرومي، وأين طريقته من الإسلام؟

في الحقيقية ينبغي أن نتنبه إلى أن تاريخ الاستشراق وموقف المستشرقين من الفكر الإسلامي وقضاياه مملوء بالعثرات، فهم دائما بين أمرين:

الأمر الأول: يبحثون عما في تاريخ الإسلام وما في تاريخ المسلمين من محاسن ويحاولون أن يأخذوا هذه المحاسن ويسلبوها من الإسلام وينسبوها إلى غير الإسلام وغير المسلمين، كأن ينسبوها إلى الفلسفة اليونانية أو الفلسفة الهندية أو الفلسفة الفارسية ليجردوا الإسلام من محاسنه.

الأمر الثاني: هم يبحثون عن الشخصيات التي يمكن أن تسمى شخصيات قلقة ويحاولوا أن ينسجوا حولها خيوط عنكبوتية تحسن مساوءهم وتكبر ما عندهم من أمور تتصل بالنفس الإنسانية وتتصل بالعلاقة بين العبد وربه سبحانه وتعالى ويجعلون من هذه الشخصيات نماذج ينبغي أن تحتذى، وأن تكون قدوة لمن يرغب أن يسلك سلوك الصوفيه كابن الرومي ومدرسته، نجد ابتداءً من القرن الثالث كثيرًا من المستشرقين يسلطون الأضواء على البسطامي والشبلي والحلاج وابن عربي وابن الفارض، هذه كلها شخصيات يمكن أن تندرج تحت مدرسة القائلين بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وابن الرومي ينتمي إلى

هذه المدرسة؛ لأن هذه المدرسة تأثرت بالغنوصية المسيحية في فكرة الاتحاد والحلول؛ لأنها قضية مسيحية مائة بالمائة، حلول اللاهوت في الناسوت، ولعل بعض الذين قرؤوا تاريخ الحلاج يقرؤون في تراثه هذه العبارات: "سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب".

وكانت عبارة اللاهوت والناسوت تترد كثيرا عند الحلاج وترددت في تراث ابن الفارض وفي تراث ابن عربي، وهي عند ابن الرومي أوضح ما تكون؛ ليبينوا أن هذه الآثار أصيلة في تاريخ التصوف الإسلامي ليجعلوها آثارًا حسنة من محاسن الإسلام التي استعارها الإسلام أو الصوفية من الغنوصية المسيحية أو من نظرية الحلول المسحية، وهي حلول الروح الإلهية في شخصية المسيح عليه السلام، وهي عندنا مرفوضة عقدياً، فالقضية تتصل بموقف المستشرقين من هذه الشخصيات على امتداد تاريخ التصوف الإسلامي، تجد هنري كوربان، ترادیفو، نیكلسون، ماربليوس، إنوزا وغيرهم ركزوا على هذه الشخصيات بعينها ليجعلوا منها علامات مضيئة في تاريخ التصوف الإسلامي، مع أنها مرفوضة عقدياً وإسلاميًّا لماذا؟ لأنها تتبنى أفكارًا تلغي التباين بين الخالق والمخلوق، بحيث يتحد فيها المخلوق بالخالق أو يحل الخالق في المخلوق، وهذا هو جوهر فلسفة ابن الرومي، ومن هنا جاء احتفاؤهم به، وأعتقد أن هناك الآن في مصر محاولات كثيرة لإحياء تراث هذا الرجل من خلال النشاط الشيعي الإسماعيلي في مصر وفي غير مصر، وأُلْفت نظركم أن عندنا هنا في مصر مسجداً في الجمالية خلف مسجد الحسين فيه جماعة البهرة، وهي طائفة من الإسماعيلية يحاولون إحياء نشاط الفكر الإسماعيلي من خلال إحياء ذكرى هذه الشخصيات في مصر، وهذا يمارس تحت ما يسمى بنشاط محبة أهل البيت أو جمعية محبي أهل البيت، وهذه قضية خطيرة جدا، تربط التصوف في مصر بالحسين والسيدة زينب والسيد البدوي وأضرحة الأولياء ربطًا عضويًّا في نظر العامة من الناس، وهذا هو الأمر الخطير بين التشيع وبين محبة أهل البيت، فكل شيعي عندهم لا بد أن يحب أهل البيت أو يبدأ تشيعه بمحبة أهل البيت، وهذا ما حاولنا أن ننبه إلى خطورته من أكثر من عشرين سنة، إن محبة أهل البيت شيء والتشيع السياسي الذي يمارس الآن في البلاد العربية شيء آخر.

**الصوفية** عقد مؤتمر "الصوفية بين الواقع والمأمول" بكلية دار العلوم وكنت مقرر المؤتمر، كما شارك في المؤتمر ثلة من أساتذة الفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامي من شتى أقطار العالم الإسلامي، فهلا بينت لنا المراد من عنوان المؤتمر؟ وهل أتى ثماره المرجوة منه في رأيكم؟

نعم، هذا المؤتمر كان القصد منه أن نُرشد سلوك الصوفية في مصر، ودعونا إليه شيخ مشايخ الطرق الصوفية وكبار الشخصيات الصوفية في مصر لكي نقف بهم على حقيقة التصوف ومبادئه الأساسية المستقاه من الكتاب والسنة وبين ما يمارسه الصوفية الآن في الموالد والمساجد التي بها أضرحة الأولياء، لكي يتولوا هم نيابة عنا تربية مريديهم على السلوك الإسلامي الصحيح وكي يعلموهم أن ما يمارسونه في الموالد بدعة مرفوضة دينيا وعقدياً والتي يمارس فيها ألوانا من السلوك يتنافى مع العقيدة الإسلامية - من حيث لا يدري صاحبها- ، ولذلك كان من توصيات هذا المؤتمر أن شيخ مشايخ الصوفيه ينبغي أن يعقد اجتماعات دورية مع رواد التصوف في محافظات مصر وأن يشكل ما يسمى المدارس التربوية التي ينسحب من خلال هؤلاء المشايخ الفكر الصوفي الصحيح ليتربى عليه المريدون من خلال مشايخهم الموجودين في المحافظات التي يقيمون فيها من خلال الدروس الأسبوعية واللقاءات الشهرية؛ ليبينوا لهم بين ما هو ديني وما هو بدعي، وأن ما يمارسونه من سلوكيات تعتبر بدعية من حيث لا يدرون، مرفوض مذموم من يمارسها.

كان الهدف الأساسي من هذا المؤتمر أن نرشد بدلا من أن نصادم ونرفض، وهذا ينبغي أن يكون مهمة العالم فيرشد المسلم بدلا من أن يواجهه بالرفض المطلق؛ لأن النفوس تعودت على المعاندة فإذا واجهتها بالرفض عاندتك وانصرفت عنك، وهذا هو منهج تربوي عند أهل هذه الطرق الآن، والحمد لله وجدنا أن شيخ مشايخ الطرق الصوفية أخذ توصيات المؤتمر ونمى إلى علمنا أنه بدأ يكتب في مجلتهم الشهرية ويُرشِّد سلوك الصوفية، وهذا ما نستطيعه، إن عليك إلا البلاغ، من باب إبراء الذمة أمام الله تبارك وتعالى.

قد يصل الأمر بين هذه الطرق إلى لون من ألوان الصراع هذا أحمدي وهذا رفاعي وهذا شاذلي وهذا نقشبندي وهذا برهامي أو برهاني، هذه الطرق الآن في مصر وفي غير مصر كالسودان مثلا بينها صراعات أحيانًا تظهر على السطح وأحيانًا تختفي، وهذا يدل على قمة الانحراف الذي يعيشونه فيما يسمونه بالطرق الصوفية.

إن العلم هو المدخل الصحيح للتدين الصحيح، وقد تولى - في عصرنا هذا- مشيخة التصوف الشيخ أبو الوفا التفتزاني وكان عالمًا، والآن أحد علماء الأزهر الشيخ الشناوي وهو من علماء الأزهر، لكن - للأسف الشديد- ما نلاحظه على هذه الطرق أنها تسيست، بل إن بعضهم الآن يحمل ما يسمى بالكارنية أو البطاقة - بطاقة انتساب للطريقة- التي تسمى هوية، وهذا المظهر بقدر ما تحرص عليه الطرق يحمل معه قدرًا كبيرا من البعد عن الله سبحانه وتعالى، وعن المعنى الصحيح للجوهر الإسلامي إذا أرادوا أن يكونوا متصوفة، ولذلك أنا الآن أرى أن التصوف أصبح ظاهرة سياسية وليس سلوكا عباديا لله سبحانه وتعالى.

**الصوفية** من الملاحظ أن المستشرقين ليسوا كلهم على درجة من الموضوعية والنزاهة التي تجعلنا نطمئن إلى كل ما يقولونه عن الإسلام والمسلمين، كما أنهم يختارون الشخصيات الغريبة والقلقة من المتصوفة كالحلاج وابن

عربي وغيرهما، فهل ترى أن المستشرقين يبحثون عن النماذج المنحرفة التي تتيح لهم أن يعرضوا هذه الصور المنحرفة طعنًا في الإسلام أو أن هناك ثمة سبب آخر وهو أن حياة الغربيين التي طغت عليها المادة تجعلهم يبحثون عن هذه النماذج؟

والله كما عهدناه في كتابات المستشرقين عن التصوف الإسلامي، معظمهم سلك المسلك الأول وهو البحث عن الشخصيات التي تمثل ما أسميته نتوآت في تاريخ التصوف الإسلامي ويسلطون عليهم الأضواء ويخرجون ما في تراثهم من قضايا شائكة يخاطبون بها المسلمين كمدخل للتشكيك في صحة العقيدة الإسلامية، ولذلك نجد نيكلسون كتب كتابين عن التصوف الإسلامي ليقول: "إن الإسلام لا يعرف شيئًا عن الزهد، فالتصوف الصحيح في الإسلام أثر من آثار المسيحية التي أخذها المسلمون من شمال الجزيرة العربية"، وقد ناقشنا هذا في كتابنا عن التصوف الإسلامي، وبَيَّنا أنه يستدل بأن كلمة الزهد لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة، وبيَّنا خطأ هذا التصور، وصار على شاكلة نكيلسون كثيرون ممن كتب عن التصوف، فهم لم يكتبوا فيه حُبًّا له ولا رغبة فيه وإنما ليظهروا ما فيه من محاسن فينسبونها إلى المسحية أو إلى نمط غريب عن الإسلام، ويظهروا ما فيه من مساوء ليشككوا في العقيدة الإسلامية، وحتى الآن لم أجد مستشرقاً حاول أن يكتب بروح الإنصاف عن التصوف الإسلامي، فهو ما بين مشكك أو مروج لأثر غريب عن الإسلام في التصوف الإسلامي، وهناك في العصر الحاضر من الذين هداهم الله سبحانه وتعالى إلى الإسلام بعد قراءات طويلة في القرآن والسنة النبوية بدأ بعضهم - الحقيقة- يكتب مقالات أو بحوثًا صغيرة عن الجانب الروحي في الإسلام وهو يقصد به التصوف الإسلامي.

أما الحياة في الغرب وطغيان الجانب المادي عليها وظهور الحاجة الماسة إلى غذاء روحي يعيشون عليه ويتلمسون فيه الشفاء من الأمراض المادية التي يعيشونها فهذا أمر وارد على النفس البشرية، لكن كثيرين منهم لا يتلمسونها في الإسلام وإنما يتلمسونها فيما يسمى بالموسيقى أو الفن أو النيرفانا الهندية، فلا يقرؤون عن الإسلام ولا عن التصوف ليقفوا على ما فيه من غذاء روحي وعقلي يشفي كثيرا من الأمراض النفسية.. للأسف الشديد نحن لم نحسن عرض الإسلام عليهم، ولم نحسن عرض التصوف الصحيح عليهم، وبالتالي هم لم يفهموه حق فهمه، وهذا عيب فينا نحن أكثر مما هو عيب فيهم.

**الصوفية** ما واجب العلماء تجاه تجاوزات الطرق الصوفية، وهل تجد أن هناك جدوى من نصح مشايخ الطرق؟ أو أن الأفضل توجيه هذه الجهود الدعوية نحو الأتباع والمريدين؟

في الحقيقة أنا حزين لما يجري الآن في الساحة الثقافية، من - لا أقول حوار وإنما - صراع بين الرافضين للتصوف والمتصوفة، وإن كنت لا أريد أن أعمم إلا أن كثيرا منهم خاصة الذين يكتبون ويتكلمون ويبحثون متأثرين في كتاباتهم ومقالاتهم بموقف المذهب المغالي من التصوف ويصدرون مقالاتهم بالحكم على هؤلاء وأولئك بالتكفير والتبديع والتفسيق والخروج عن الملة، وهذا قد عاصرناه وقرأناه وسمعناه في كتابات كثيرة في عصرنا الحاضر، وهذا نمط يُنفِّر أكثر مما يُرغِّب، ويحاول أن ينتصر لرأيه أكثر من حرصه على هداية الذي يخاطبه، وأكثر من حرصه على تربية الذي يخاطبه وتبيان وجه الحق للذي يخاطبه، فهو حريص على الانتصار لرأيه والانتصار لمذهبه والانتصار لشيخه، هذا نمط يؤذي أكثر مما ينفع ويضر أكثر مما يفيد، ويورث حساسية في النفوس ضررها أكثرمن نفعها.

النمط الآخر؛ العلماء الذين يملكون من العلم ناصيته ومن وسائل التربية ما يستطيعون به أن يقودوا هذه العقول وهذه النفوس إلى ما يسمى بحظيرة الأمن والأمان النفسي في التصوف الإسلامي، ولكن هم بين أمرين؛ الأمر الأول: لا يُمَكَّن لهم من الحديث والخطاب مع المتصوفة، والأمر الثاني: أن كثيرين منهم يزهدون في مخاطبة الناس لما يحيط بالخطاب الإسلام المعاصر من أمور شائكة أقلها كسر الأقلام وكف الألسنة عن الحديث، وتدخل السياسة في أشياء كثيرة في بلادنا أفسد على المسلمين كثيرا من أمور دينهم وسيس كثيرا من القضايا الدينية وألبسها ثوبًا سياسيًّا، وأبعدها عن حظيرة الدين الصحيح، فعلى المربين المسؤولية، ولكن هل يمكن لهم من أداء هذه المسؤولية والنهوض بهذا العبء؟ للأسف الشديد الساحة الثقافية يراد لها أن يفسح المجال بين المتصارعين لينشغلوا بأنفسهم عن مشاكل الأمة، وهذا هو الواقع الذي نلاحظه بين الرافضين للتصوف في مؤتمراتهم ولقاءاتهم على شاشات التلفاز وبين الصوفية ومعظمهم من عوام الناس، وأنا أعذرهم؛ لأنهم لا يجدون من يرشدهم ويُبَيِّن لهم صحيح الدين من فاسده أو صحيح الطريق الصوفي من فاسده، والجهل أحد المعاذير التي يعذر بها المسلم.

**الصوفية** هل ترى أن الطرق الصوفية الآن تتخذ التقية بالمعنى الشيعي لنشر معتقداتها بين عوام المسلمين؟

لا أبرئ —حقيقة- بعض الطرق الصوفية - خاصة الذين هم على قدر من الثقافة والقراءة والمعرفة- من تبني هذا المنهج الشيعي، الذي هو منهج التقية لنشر كثير من الأفكار الشيعية بين الصوفية من مدخل نسبة الأراء والأقوال إلى آل البيت، هذا المدخل هو أخطر المداخل إلى نفوس المسلمين العوام، يستغلهم أصحاب هذه الأغراض الدنيئة والخبيثة في نسبة الأراء التي يريدونها والأقوال التي يريدونها إلى أهل البيت، وبمجرد أن يسمع المسلم العادي أن الإمام الحسين أو أن الإمام الحسن أو أن الإمام علي قال، أو أن السيدة فاطمة الزهراء قالت فيضع يده على رأسه احترامًا وإجلالًا لما قاله الإمام علي، ويعلم الله أن الإمام علي وأهل بيته الكرام برءا من هذه الأقوال التي تنسب إليهم تماما، وقد كتبنا هذا منذ أكثر من ثلاثين سنة، محاولين أن ننبه المسلمين إلى ضرورة الحرص على تمحيص ما ينسب إلى أهل البيت من خلال أقوال الشيعة ونسبة الآراء الشيعية إلى أهل البيت.



# بامخرمة الحضرمي يتصدى لجماعة ابن عربي

أكرم مبارك عصبان

من حضرموت التي ساد بأرضها التصوف وعشش فيها وفرّخ من بعد القرن السابع الهجري برز صهيل خيل يركبها فقيه من فقهائها عاش في القرن العاشر الهجري يزحف زحفا في الميدان ليلتحق بقافلة العلماء الذين تصدوا لجماعة ابن عربي ويسير في ركابهم، الذي مضى عيرها في مواجهة هذه الفرقة الضالة التي ما فتئت تقطع طريق الحق بما تلقيه من عقائد باطلة غزت بها بلاد الإسلام بعدما تلقفتها من الفلاسفة وألبستها لباس الزهد فشد عليها العلماء بالرد وبيان حقيقتها ودفع ما تنشره من ضلالات عدت على التوحيد بالتشويه وغالت في تعاليم الإسلام؛ حيث وجب على الناصحين القيام بالنصرة وفضح هذه الكتب التي في متونهن بلاء الشك والريب، ولولا كتائب العلماء تصول وتجول لزاد شرها وتطاير شررها، ومن فرسان هذا الميدان يأتي الفقيه الحضرمي.

هَلاّ سَأَلْتِ الخَيْلَ يا ابنَةَ مالِكٍ

إنْ كُنْتِ جاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمي

وحديثنا يكون في خمسة مقامات على النحو التالي:

المقام الأول: نبذة عن الفقيه الحضرمي:

الفقيه هو تقي الدين أبو الطيب عبد الله بن عمر بن عبد الله بن أحمد بامخرمة السيباني، العلامة الفقيه صاحب الفتاوى التي أودعها الفوائد والمصنفات التي اشتملت على الفرائد، برع في علوم متعددة، وكان ذا ملكة في الفقه ومعرفة بالقواعد والنصوص والأقوال، وقد اشتغل بالفقه الشافعي تدريسًا وتأليفًا وإفتاءً، وهو ينزع إلى تحرير المسائل والغوص في البحث دون الاكتفاء بتقرير من سبقه، كما جاء في جواب له على مسألة: (ولا شك أن سببهم في ذلك الاكتفاء بالتقليد وعدم الإمعان في الكشف عن المسألة وتتبع نقل الأصحاب فيها)، قاله في صاحب الأنوار والشيخ المقري والشيخ زكريا، وما زال يعني ويرقى في المذهب حتى لقب بالشافعي الصغير، وقيل شيخ الشافعي الأخير.

ولد بالشحر، سنة سبع وتسعمائة، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، تلقى العلم على يدي فقهاء عصره من علماء حضرموت وعدن وزبيد، وأخذ عن علماء الحرمين في رحلته للحجاز، تقلد الفقيه تقي الدين القضاء بالشحر مرتين في عهد السلطان بدر بو طويرق الكثيري كما تسنم رتبة الإفتاء وجمعت له الفتاوى الهجرانية والعدنية، وشغل وظيفة التدريس فقد استنابه عمه الطيب في تدريس المنصورية والظاهرية، كما تولى التدريس أيضًا بالمدرسة الفرحاتية، وكذا كان يجلس في الجامع بعدن للإفادة، توفي سنة (٩٧٢ هـ)[١].

المقام الثاني: مع مدرسة حضرموت في التصوف

للفقيه بامخرمة جولة ظافرة في التصدي لجماعة ابن عربي، وإن كانت المدرسة الحضرمية قد اتخذت منهجًا خاصًّا في التعامل مع كتب ابن عربي خطه أحد أقطابها الملقب: العيدروس (ت ٨٦٥ هـ)، ففي مواهب القدوس في مناقب أبي بكر بن عبد الله العيدروس أنه قال: لا أذكر أن والدي ضربني ولا انتهرني قط إلا مرة واحدة بسبب أنه رأى بيدي جزءا من الفتوحات المكية لابن عربي، فغضب غضبًا شديدًا فهجرتها من يومئذ، قال: وكان والدي ينهى عن مطالعة كتابي الفتوحات والفصوص لابن عربي، ويأمر بحسن الظن فيه وباعتقاد أنه من أكابر الأولياء العلماء بالله العارفين بالله تعالى، ويقول: إن كتبه اشتملت على حقائق لا يدركها إلا أرباب النهايات فتضر بأهل البدايات.

وأكد على هذا المسلك عبد الله بن علوي الحداد (ت ١٣٢ هـ) فمما كتبه إلى بعض أصحابه: لا تعلق خاطرك بالشيخ ابن عربي وأضرابه فإن ذلك معجزة وربما دعا الناس إلى الدعوى بما لا يبلغه وعليك بالعلوم الغزالية وما جرى مجراها من الصوفيات الفقهيات، التي هي علوم الشرع وصريح الكتاب والسنة فثم السلامة والغنيمة، واحترز مما سوى ذلك فإنه ربما يشوش على الإنسان سلوكه[٢].

والعيدروس والحداد هما شارحا الطريقة الحضرمية.

تنبيهات:

الأول: ما ذكر الشلي في المشرع الروي من أن أبا بكر المذكور آنفا تولى شرح كتاب الفصوص لا يتناقض مع ما ذكر؛ لأنه ربما أدرك رتبة النهايات المشار إليها، وقد ورد في المشرع ما نصه: وكان أبو بكر يكشف المشكلات والأسرار التي اشتمل عليها الفصوص لابن عربي، نقل عن تلميذه مؤلف مواهب القدوس تلميذه تلميذه العلامة محمد بن عمر بحرق:

أظهرت ما أخفى الفصوص وغيره
من كل علم حار فيه من دأب
أوضحته من غامض السر الذي
قد حزته من غير كد أو نصب[٣]

الثاني: ما قرره العيدروس في التعامل مع كتب ابن عربي سبق به ما ارتضاه السيوطي بقوله: (والقول الفصل - عندي طريقة لا يرضاها فرقتا أهل العصر لا من يعتقده ولا من يحط عليه وهي اعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه فقد نقل عنه هو أنه قال نحن قوم يحرم النظر في كتبنا)[٤].

الثالث: إن المتأمل لما طفحت به كتب الطريقة الحضرمية يجد أثرا واضحا بمصطلح القطبية والحقيقة المحمدية والشطحات وغير ذلك من عقائد ابن عربي التي تسللت إليها لواذا، مما يدل على مجانبة هذه الوصية من الناحية العملية على الأقل وما خلعوه من خصائص على الأقطاب تتنافى مع مقام الربوبية فضلا عن الانحراف في توحيد الألوهية ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المقام الثالث: الرد على جماعة ابن عربي:

وهذا هو بيت القصيد من الموضوع؛ حيث تبلور دفع الفقيه تقي الدين لصيال جماعة ابن عربي في كتاب أفرده لهذا الشأن أسماه (حقيقة التوحيد وصحيح الاعتقاد في تكفير طائفة الوحدة والاتحاد)، ولكننا بكل أسف لم نجد له أثرا، ولا سبيل للوصول إليه.

**ضررهم على الإسلام أشد من ضرر الإفرنج الذين لا يلتبس كفرهم ولا يختفي شرهم**

حلّتْ بأرْضِ الزّائرينَ، فأَصْبَحَتْ
عَسِرًا عليّ طِلابُكِ ابنة مَخْرَمِ

ولئن توارى بالحجب فإن شذرات من فتاواه عوضت بعض هذا الأسف تضمنتها الفتاوى العدنية، وهي ما سنعرض لها هنا، وهو بذلك ينتظم بذلك في سلك الفقهاء - لا سيما فقهاء زبيد- الذين ناصبوا هؤلاء المتصوفة العداء ونازعوهم نزاعًا عنيفًا حينما تفشى اعتقاد مذهب أهل الوحدة، ولا بد من الإشارة هنا بأن المتصوفة ليسوا سواء في المنهج وعليه فيختلف الحكم، وذلك قبل أن يغلب المصطلح على عقائد الغلاة ويتلوث بالقبورية بل هم طوائف متعددة وطرائق قددًا، وما أجمل ما قرره شيخ الإسلام بقوله: (فإن ابن عربي وأمثاله وإن ادعوا أنهم من الصوفية فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل الكلام فضلا عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة، كالفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وأمثالهم)[٥].

ولنأت الآن إلى ما حوته هذه الفتاوى من إيضاح يشفي الغليل[٦].

أولاً: ثناؤه على من انتحل طريق الزهد:

لقد أثنى الفقيه بامخرمة على الصوفية القائمة على الزهد والعبادة، وفَرَّق بينها وبين أهل الوحدة والاتحاد، فهو يرى التصوف الذي مَبْناه على مراقبة الله والخوف، كالتي تميز بها الرعيل الأول مثل الجنيد، فقد مدحه على قوله: "إنها لا تقع النكتة من نكت القوم في قلبي فلا أقبلها إلا بشاهد من الكتاب والسنة"، قال بامخرمة: وقد دل قوله هذا على أنها تقع نكت بهم وتتقدح في خواطرهم وقد يركن إليها بعضهم ويعدها علمًا وأنه - أعني الجنيد (ﷺ)- لم يغتر بذلك ولا ركن إليه بل رده إلى شهادة الكتاب والسنة، فيحق فيه أنه سيد الطائفة (ﷺ) ا.هـ.

وهو بهذا يفرق بين من يستسلم للشرع ومن يعارض نصوصه بالكشف والوجد والإلهام والرؤيا من الغلاة الذين يجعلون لشيوخهم قداسة ويصفونهم بالحفظ ولا يراعون النصوص حين تخالف كشفهم.

ثانيا: تأثره بمتكلمة المتصوفة:

وقد خاض فيما خاض فيه المتجهون نحو فناء الشهود في التوحيد وهو - عندهم- الذي يتلاشى فيه الأغيار، فالوجود بالنسبة للحق سبحانه وتعالى عدم لا حقيقة له ولم يبقَ إلا توحيده في الأزل قبل إيجاد الخلائق، ومن قال غير ذلك مال عن حقيقته، وأطال الوقوف في شرح معناه بما نقل عن الجنيد، وبالجملة فما أغناه عن الحديث فيما لم يؤذن له فيه، ويرد عليه أيضا في انتحال الفناء في الشهود ما رد به على أهل الوحدة من وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، ولو أبحر باتجاه طريق السلف لسلم قال تعالى: ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)) وبالله التوفيق.

ثالثا: رده على جماعة ابن عربي:

ويمكن دراسة ما جادت به ردوده في أجوبته في الفتاوى العدنية على النحو التالي:

١- فضح عقائدهم الكفرية: ومنها:

- استحالة العذاب عذبا:

قولهم أن تخليد أهل النار في النار اقتضاه ذواتهم، قال: هو جهل عظيم من قائله وكفر صراح من معتقده.. وهو قول مرذول لم يقل به أحد من المسلمين، وإنما هو من أقوال الزنادقة الذين حرفوا كلام الله عن مواضعه وكذبوا رسل الله فيما جاؤوا به وتستروا بالتصوف والنسك والعبادة

كابن عربي... فتارة يقولون إن دخول أهل النار النار اقتضاه ذواتهم، وتارة يقولون إن الكفار يعذبون في النار حينا ثم ينقلب في حقهم نعيما فيخلدون فيها في النعيم إلى غير ذلك من التناقض والكذب والمباهتة والتحريف الذي لم يسبقهم إليه أحد من أهل الملل الضالة من اليهود والنصارى، فإن غاية ما تقول اليهود ما حكى الله عنهم في قوله تعالى: ((وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً))، وذلك أنهم زعموا أنهم إنما يعذبون مدة.. ولم يقل أحد منهم قط: إن عذاب النار يكون نعيما لا في الابتداء ولا في الانتهاء، ومع هذا فقد كذبهم الله تعالى ورد عليهم قولهم وأبطل دعواهم.

- القول بالوحدة:

رد على القيصري في شرح تائية ابن الفارض في نسبته لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (أنا النقطة من بسم الله وأنا السموات السبع والأرضين السبع وأنا العرش والكرسي وجنب الله الذي فرطتم فيه)، فقال: "إن هذا المروي عن سيدنا علي رضي الله عنه كذب موضوع عليه، وقد كان للشيعة الرافضة فيه غلو عظيم وعقائد فاسدة ردية، بحيث إنه كان في زمانه طوائف اعتقدوا إلهيته فلما تحقق ذلك منهم أحرقهم بالنار، وكذلك طوائف اعتقدوا ثبوت رسالته إلى غير ذلك من الأمور الباطلة وكذبوا عليه بأمور غالبها محال ووضعوا عليه أقوالا لم تصدر عنه، منها ما ذكره السائل وفقه الله تعالى.

وإنما استشهد القيصري بذلك في شرح التائية لموافقة ذلك عقيدتهم الكفرية الفاسدة المحالية، وهي قولهم بوحدة الوجود وأن الله جل عن قولهم هو الوجود لا غيره وأنه عين الموجودات كلها من أفلاك وأملاك وسموات وأرضين ونبات وبحار وأشجار وجبال ورمال غيرها، وقد كفروا بذلك كفرا لم يسبقهم إليه سابق ولا لحقهم فيه لاحق من سائر أهل الملل والنحل، فإن النصارى على قبح كفرهم وفساد مقالتهم لا يستجيزون هذه المقالة وأكثر ما قالوا إنه ثالث ثلاثة، وكم من فرق بين من يقول ثالث ثلاثة وبين من يقول إنه عين الأصنام والأوثان بل وسائر النجاسات والفضلات، تعالى عن قولهم وتنزه عن كذبهم، والحاصل أن ما ذكره القيصري عن علي رضي الله عنه مبني على هذه الطريقة الكفرية التي لم يقلها قبلهم قائل منذ خلق الله الخلق إلى عصرهم لعنهم الله وأخزاهم.

- تصويب عبادة الأصنام:

ورد أيضا على بعض ضلالاتهم بعدما ذكر قولهم السابق بقوله: (وأضافت - أي هذه الفرقة- إلى ذلك أقوالا أخرى لم يقلها أحد من أهل الملل والنحل من تصويب عبادة الأصنام، وإن فرعون وعادا وثمود ومن أشبههم من المشركين إنما كذبوا الرسل عليهم الصلاة السلام لما عندهم - أي المشركين- من المعرفة بالله والعلم به إلى غير ذلك من العظائم التي لا ينبغي ذكرها إلا للتحذير منها والتنبيه عليها).

٢- تسترهم بالتصوف:

أوضح في غير موضع أنهم يتسترون بالتصوف والزهد ليخفوا ما هم عليه من زيغ، فقال: ولما عرفوا أنهم ساعون في هدم الشريعة ورد ما جاء به محمد والأنبياء قبله - عليهم الصلاة والسلام- علموا أنهم لا يسلمون من قيام ملوك الإسلام عليهم وإنكار علماء الأنام وفتواهم بسفك دمائهم وتطهير الأرض من جثثهم فتستروا بالإسلام واتسموا بالتصوف، وأظهروا التنسك والعبادة والتقشف والزهادة وأبرزوا أقوالهم في أسلوب الحقائق ومزجوها باصطلاح القوم ودسوا تلك العقائد الكفرية بين علوم لدنية ومعارف زكية ليلبسوا الحق بالباطل ويموهوا على العوام والطغام، ولله در القائل فيهم وفيمن سلك مسلكهم من الزنادقة والباطنية:

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا
لحقن دمائهم ألا تسالا

فيأتون الفواحش في نشاط ويأتون الصلاة وهم كسالى

وقد ضلوا وأضلوا كثيرا فضررهم على الإسلام أشد من ضرر الإفرنج وغيرهم الذين لا يلتبس كفرهم ولا يختفي شرهم.

وقال أيضا: فلعنهم الله وأخزاهم ودمرهم ولعن من يحبهم ويتأول لهم مع علمه بفساد عقائدهم ما دام الملوان وتعاقب الجديدان فلقد عم ضررهم وطار شررهم وغوا أمما بما لبسوا به من إظهار طريقة الصوفية... وإنما جعلوها شبكة لأرباب العقول الضعيفة والآراء السخيفة، وأما ثناء من أثنى عليهم فهو إما أن يعتقد ما اعتقدوه فهو منهم فلا عبرة بثنائه عليهم ومدحه إياهم وإما لا يعتقد ذلك ولكنه صوفي سمع بأنهم صوفية أهل عبادة وزهادة فأثنى عليهم من هذا الوجه مع عدم معرفته لعقائدهم الكفرية وعدم وقوفه على تصانيفهم وما فيها من الضلال والمحال فلا يكون ثناؤه عليهم حجة.

وقال أيضا: تستروا بالتصوف والنسك والعبادة كابن عربي صاحب الفصوص والفتوحات وابن سبعين وأتباعهما كالقونوي تلميذ ابن عربي والقيصري شارح الفصوص وعبد الكريم الكيلاني صاحب الكمالات والإنسان الكامل وغيرهم، لعنة الله عليهم وعلى معتقدي عقيدتهم وسالكي طريقتهم.

٣- عدم التأويل لهم:

إنكاره التأويل لهؤلاء أشد الإنكار ويعتبره زلة لا تقال،

وإن صدر من أكابر الفقهاء كالشيخ زكريا الأنصاري قال: أما ما وقع للشيخ زكريا رحمه الله في شرح الروض من رده على ابن المقرئ في تكفير طائفة ابن عربي وقوله: إن مقالاته - أي ابن عربي- من باب اصطلاح الصوفية، فذلك دليل على أنه رحمه الله لم يقف على كلامه ولا عرف ما فيه وسمع بزهادته وعبادته فحمله حسن الظن على اعتقاده والذب عنه، ولعمري إنها غلطة منه لا يقال عثرها، وهفوة أحرق الدين شرارها، وإقدام لكان الواجب فيه التأخر، واستعجال كان المتعين فيه التمهل والتدبر، وقد قال أهل التحقيق: اعرفوا الرجال بالحق ولا تعرفوا الحق بالرجال، والله يتجاوز عنا وعنه ا.هـ.

المقام الرابع: مكانة بامخرمة:

تتمة لتقوية هذا الصوت الذي تصدى لأفكار ابن عربي ينبغي الالتفات قليلا إلى مكانته العلمية حتى نعرف مدى تأثير هذا الإمام، فقد فاق الفقيه تقي الدين الأقران تفوقا لا يشذ عنه من ألقيت إليه مقاليد تقرير المذهب الشافعي، أعني ابن حجر، وقبل أن يبادر بعضهم بالإنكار أقول إن المعروف أن علماء حضرموت قد ذهبوا إلى أن المعتمد في المذهب ما قاله ابن حجر في التحفة كما عبّر عن ذلك الشيخ علي عبد الرحيم باكثير فقال:

وشاع ترجيح مقال ابن حجر
في يمن وفي الحجاز فاشتهر
وفي اختلاف كتبه في الرجج
الأخذ بالتحفة ثم الفتح

ولكن مع هذا المذهب الذي ذهبوا إليه إلا أننا نجد اعترافًا منهم للفقيه تقي الدين بامخرمة بسعة العلم، ففي المقاصد السنية للشيخ محمد بن عبد الله باسودان قال: رأيت نقلًا عن شيخ والدي الجليل الشيخ حامد بن عمر حامد باعلوي نفع الله به ما نصه: معتمد سلفنا العلويين على ما قاله الشيخ ابن حجر، وليس ذلك لكثرة علمه فإن الشيخ عبد الله بامخرمه أوسع علمًا منه، ولكن ابن حجر له إدراك قوي أحسن منه بل ومن غيره من الفقهاء المصنفين فلذا اعتمده سلفنا بتريم[٧].

ومما يدل على ذلك أنه قد ظهر له إشكال في مسألة في باب الحيض وسأل عنها جماعة من شيوخ العصر مشافهة منهم عمه الطيب بن عبد الله بامخرمه ومحمد بن عمر باقضام وأبا العباس الطنبداوي الزبيدي فما زاد أحد منهم القول بأنها مشكلة لا يهتدي إليها، قال: ثم لما حججت في سنة ست وأربعين وتسعمائة اجتمعت بالشيخ أبي الحسن البكري وتلميذه ابن حجر وذاكرت كلًّا منهما على حده في هذه المسألة فخلطا فيها تخليطًا لا يصدر ممن يعرف الفقه فعرفتهما بتخليطهما ورددته عليهما ا.هـ[٨].

قلت: لعلها التي عناها ابن حجر في الفتاوى الكبرى بقوله (ولقد وقعت بين فضلاء اليمن مباحث في عويصاته - الحيض- حتى حج بعضهم ممتحنًا أو مسائلًا عنها فألفت تأليفًا نفيسًا فغلب الحسد على بعض من لا توفيق عنده فسرق ذلك التأليف قبل كتابة نسخة أخرى منه...)[٩].

وله نكت وتعليقات على تحفة ابن حجر كما أن له تعقبات على فتاويه، حدت هذه التعليقات والتعقبات بالشيخ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف أن يقول: وما زلنا نتلقى من أفواه الرجال عن الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة أنه يحرم الإفتاء من كتب ابن حجر، فنحسب أنه غيران حمله على ذلك تنافس الأقران ثم ظهر بعد التفكير أن قد أصاب فلا نكير[١٠].

المقام الخامس: خلاصة الموضوع:

إن الذي نخلص إليه مما سبق: بيان دور هذا الفقيه في كشف ما عليه جماعة ابن عربي من ضلالات استقى منها كثير من الصوفية وبنوا على أصل وحدة الوجود فروعا متنوعة كالإنسان الكامل والحقيقة المحمدية ودائرة القطبية والشطحات وغير ذلك، مما خرج من عباءة الوحدة ويشير إليها، فالرد على هذا الأصل ينسف كل ما تفرع عنها ويدحض أقاويل من راموا تأويل هذه الضلالات وتسويقها بين الناس واعتذروا لمن تفوه بهذه الكفريات، فجزى الله خيرا كل من انبرى لتفنيد هذه الترهات وأدى الواجب المنوط به من بيان الحق وعدم كتمانه ولم يخف لومة لائم؛ إذ إن من حاد عن الصدع بالحق فقد باء بالإثم والله نسأل الإخلاص في القول والعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## الهوامش

(١) انظر ترجمته الوافية في السنا الباهر للشلي، وتاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر لبافقيه، وصفحات من التاريخ الحضرمي لسعيد عوض باوزير.

(٢) انظر مواهب القدوس وعقد اليواقيت لعيدروس بن عمر (٩/١).

(٣) المشرع الروي (٣٦/٢) ومما نقله عن عبد المعطي قوله:

فيا شيخي يا ابن العيدروس ومن ... له مقام به كل الرجال وقوف
شرحت لنا علم الحقيقة ظاهراً ... وأحييت محيي الدين وهو عريف
كلام ابن عربي وإن كان ... مغلقا وفي فهمه عسر وفيه عسوف
بتقريرك الميمون أوضحته لنا ... فصار لدينا معرب معروف

(٤) انظر رسالة تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي للسيوطي في مجلة الحكمة العدد الحادي عشر، وقد رد عليه إبراهيم بن محمد الحلبي إمام جامع السلطان محمد الفاتح بالقسطنطينية عام (٩٤٥هـ) برسالة تسفيه الغبي في تنزيه ابن عربي، قال فيها عقب ما ذكر: "أقول هذا هو البله بل السفه وهل الولي يضيع زمانه فيما لا يفيد؟ فإذا كان يحرم النظر فيها فلأي شيء يصنفها ويمتدح بما أودع فيها ويمدحه ويدعو لأتباعه ويذم من خالفه"، تحقيق علي رضا بن عبد الله.

(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ١٢٧).

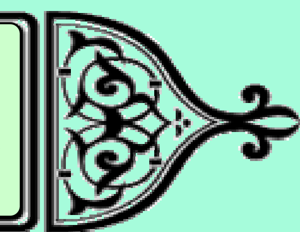
(٦) مخطوطة الفتاوى العدنية آخر الجزء الثاني كتاب القائق.

(٧) انظر المقاصد السنية مخطوطة وعنها والفوائد المكية (ص ٣٨).

(٨) المسألة الثامنة والثمانين بعد المائة من مخطوطة الفتاوى الهجرانية.

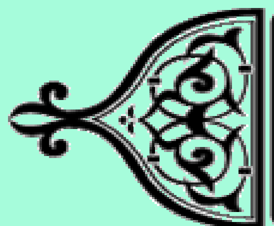
(٩) والفتاوى الكبرى لابن حجر، ذكر ذلك في كتابه على كتاب باقشير سنة (٩٥٣هـ)، وانظر السنا الباهر (ص ٦٤٩) وفيه قول الطنبداوي للشيخ تقي الدين (وردت علينا بالأمس مسألة في الحيض لم تظهر لي أريد أن أسألكم عنها فأجاب عنها بعد اعتذار فظهر في وجه الشيخ البشر).

(١٠) انظر صوب الركام لعبد الرحمن بن عبيد الله (٥/١).



# يا ست نفيسة أنا عاوز جاموسة يا ست نفيسة !!

محمد بن عبد ا المقدي



وقف أمام الشبك الحديدي لضريح السيدة نفيسة - رحمها الله- اغرورقت عيناه بالدموع وهو ينشج نشيجا متقطعا ويهمهم بكلمات يائسة..

يا ست نفيسة أنا عاوز جاموسة يا ست نفيسة ..يا ست نفيسة خالتي مروة مريضة يا ست نفيسة ..يا ست نفيسة خنقته العبرة وفي صوته حشرجة .

استمعت لهذه الكلمات وبدأت الأرض تدور بي ..

ما الذي أسمعه؟

ماذا يقول هذا الرجل؟

ماذا يريد؟ من يسأل؟ من يرجو؟ بمن يلتجئ؟

أسئلة كثيرة مرت بخاطري وأنا أنصت لهذا القلب المكلوم، الذي يريد متاعا دنيويا ولكنه ..ضل الطريق ..انخرف عن المسار ..سلك طريقا شائكة.

**إن هذه الصورة المرسومة لا تمثل حدثا فرديا، أو واقعة عين تقدر بقدرها**

إن هذه الصورة المرسومة لا تمثل حدثا فرديا ، أو واقعة عين تقدر بقدرها ، أو حال فريدة لا يصح تعميمها ، إن هذه الصورة تستطيع أن تلتقطها بمقدار دقة عدستك اللاقطة وبمقدار ترامي أطراف العالم الإسلامي.

أوردت جريدة (أهل الخير)[1] بعض القصص والحكايات المؤلمة ، فهذه امرأة لم ترزق بذكر وفي حملها السادس ذهبت لضريح (مولاي إبراهيم) في منطقة أسنى جنوب المغرب ودخلت عليه بعد أن أخذت معها الشموع وتعلقت بستارة الضريح ثم توسلت كي يمنحها الولد!

وأخرى لم تنجب ولدًا ، فبعد أن طافت بالأطباء ولم تخرج بنتيجة تذكر يممت وجهها تجاه القبور والأضرحة ، فطافت بأضرحة العديد منهم إلى أن توقفت أمام ضريح مشتهر بالقدرة على تزويج العوانس وجعل العقيم قادرًا على الإنجاب، فوقفت وتوسلت والدموع في عينيها كي يساعدها صاحب القبر ويحقق لها رغبتها في إنجاب الولد.

وفي أفغانستان؛ حيث ثمة زيارات منتظمة لمجموعة من القبور يقول عزيز محمد - وهو رجل مسن ذو لحية بيضاء يزور المقابر كل يوم- : «طلبت الشرطة من الناس عدم المجيء لكننا نجيء، المعاقون والمرضى يشفون بعد المجيء إلى هنا ، إنه مكان مقدس» ، فوسط المقابر تركع امرأة منتقبة على الأرض؛ أملا في الصحة والثراء والحظ، ويجيء رجل ضرير بصحبة الأهل أملا في استعادة النظر[2].

(ينتشر في مصر أكثر من ستة آلاف ضريح)[3]، فيوجد على سبيل المثال في مركز فوّة.. (٨١) ضريحاً ، وفي مركز طلخا (٥٤)، وفي مركز دسوق (٨٤)، وفي مركز تلا (١٣٣)، وهي الأضرحة التابعة للمجلس الصوفي الأعلى، بخلاف الأضرحة التابعة للأوقاف أو غير المقيدة بالمجلس الصوفي)[4] كما يوجد في أسوان أحد المشاهد يسمى: مشهد (السبعة وسبعين وليًّا)[5].

ماذا يفعل المسلمون حين يزورون هذه الأضرحة؟

يقول عبد الله بن محمد بن خميس في مشاهدات له عند قبر محيي الدين بن عربي: (لقد ذهبت إلى قبر ابن عربي في دمشق فوجدت فئامًا من الناس يغدون إليه ويروحون.. وجدتهم يطوفون حوله، ويتوسلون به، ويعلنون دعاءهم له من دون الله، وجدت المرأة تضع خدها على شباك الضريح وتمرغه وتنادي: أغثني يا محيي الدين، وجدت الصبايا البريئات يجئن إليه ويمددن أمامه الأكف، ويمسحن الوجوه، ويخشعن ويتضرعن)[6].

- الأضرحة في أفغانستان:

وحين دخلت القوات الصليبية الأمريكية والبريطانية إلى البلاد الأفغانية كان أول ما قاموا به أن فتحوا المزارات والأضرحة وسمحوا للموالد أن تقام وروجوا لها ، يقول أحد شيوخ الطرق واسمه (صوفي محمد) وهو في الستين من عمره لوكالة (رويترز): (إن حركة طالبان المتعصبة أغلقت المزارات وأوقفت الاحتفالات ومنعتنا من حلقات الذكر والإنشاد طوال فترة حكمها ، رغم أنها لم تتوقف حتى في وجود الحكم الشيوعي والاحتلال الروسي! وأنا سعيد جداً بسقوط تلك الحركة المتعصبة وأمريكا سمحت لنا بممارسة طقوسنا وإقامة موالدنا ونحن نشكر لها ذلك وبشدة)، هكذا قال وهكذا فعلت أمريكا ، فتحت الأضرحة وأقامت الموالد لإحياء البدعة ومحاربة السنة ولتشويه الإسلام[7].

- الحج السنغالي:

أما في السنغال فيشتهر عند أرباب التصوف رحلة الحج إلى ضريح أحمد دوبامبا؛ حيث يتوافد مئات الآلاف من أتباع الطرق الصوفية لزيارة هذا الضريح والمكوث عنده ثلاثة أيام، ضمن طقس سنوي يقترب كثيرا من أسلوب الحج إلى بيت الله الحرام[8].

- كازخستان ومكة الثانية:

يؤدي بعض أتباع الطرق الصوفية ما يسمونه "حجا أصغر" في كازاخستان، وذلك على مدار العام، ووفق طقوس خاصة منبثقة من تقاليد وعادات شعبية.. وأما مقصدهم في حجهم، فهو مدينة يطلقون عليها اسم "مكة الثانية".

وأكثر ما يميز هذه المدينة هو توافد ناس كثر من كافة مدن ودول آسيا الوسطى للتبرك بها ولأداء - ما يعتبرونه- الحج الأصغر، الذي يختلف عن الحج الأكبر لمكة المكرمة.

وعزا المؤرخ أنور تولغانوف أسباب إطلاق اسم مكة الثانية على تركستان بقوله "إن السفر من وسط آسيا والوصول إلى مكة المكرمة كان يشكل صعوبة ومشقة كبيرة للمسلمين ويكلف أموالا طائلة، فاستعاض البعض عن الحج بالسفر إلى تركستان، ولا ننسى أيضا أن الأساطير والخرافات أضفت طابع القدسية على المدينة".

وينهي الزوار حجهم الأصغر بالدعاء داخل إحدى القاعات التي يتضمنها المسجد وهي عديدة، فمنها قاعة كان يجلس فيها خانات آسيا الوسطى خلال عصورهم السالفة، أما القاعة فزيارتها تعد الأهم في تلك الطقوس؛ لأنها تحوي ضريح الحاج أحمد الياساوي.

يقول تولغانوف: "درس الياساوي التعاليم الصوفية في مدينة سمرقند، ثم عاد إلى تركستان وعاش فيها حتى بلغ عمره ثلاث وستين عام نزل بعد ذلك إلى حجرة تحت الأرض، معتبرا أن الحياة أكثر مما عاش الرسول محمد يعد ذنبا عظيما"[9]!!

دبلوماسية زيارة الأضرحة

بل صار التسابق من قبل السياسيين لإحياء الشرك، فقد أعلن وزير الثقافة والإعلام الأفغاني (رحيم مخدوم) أن الحكومة الأفغانية الجديدة وضعت ضمن أولوياتها ترميم تمثالي بوذا العملاقين في ولاية باميان، وكانت حركة طالبان قد دمرت التمثالين وأثارت موجة استنكار عالمية، يشار إلى أن مخدوم متخصص في الثقافة الأفغانية والشعر الصوفي[10].

- زيارة الرئيس الباكستاني لأحد الأضرحة:

وفي زيارة هامة للرئيس الباكستاني (برفيز مشرف) إلى الهند شملت إجراء محادثات مع رئيس الوزراء الهندي (مانموهان سينج) توجه الرئيس (مشرف) لولاية راجستان بغرب الهند لزيارة ضريح إسلامي بارز، ثم توجه إلى العاصمة دلهي[11].

- زيارة الرئيس الجزائري للأضرحة لزيادة شعبيته:

وقام الرئيس الجزائري (عبد العزيز بوتفليقة) بزيارات مكثفة لعدد من زوايا وأضرحة (الأولياء والصالحين) المنتشرة في مختلف أنحاء الجزائر؛ لزيادة شعبيته لدى عدد كبير من الجزائريين الذين يتبركون بهؤلاء الأولياء[12].

بل من شدة الجهل والغفلة اتخذت قبة على مقبرة (الرفيق الصيني الشيوعي (يانغ تشي تشنغ)، في (ود مدني)[13].

إن نشر وتبني القبورية وإحياء الميت منها وربط الناس بهذه القبور بدعوى وجود الأولياء الصالحين، وأنها مواطن الرحمات وإجابة الدعوات يبين لنا بجلاء أن مزامير الشرك قائمة وسوقها لا يزال مستعرًا.

**لا يجوز أن نتعامل مع هذا الركام بالمسكنات الوقتية**

ولا بد أن ننبه أننا لم نذكر هذا جلدا لذواتنا وتأنيبا لها على تقصيرها فقط وإنما لندرك أن الجرح لا يزال عميقا ولا يزال الطريق في أوله، ولا يجوز أن نتعامل مع هذا الركام بالمسكنات الوقتية إنما لا بد من مبضع الطبيب كي ينظف الجرح ويزيل الورم.

## الهوامش

(١) السبت (٣) جمادى الآخرة (١٤٢٦٩) يوليو (٢٠٠٥م) العدد السادس والعشرون.

(٢ ) جريدة الشرق الأوسط الثلاثاء ٠٦ ذو الحجة ١٤٢٢ هـ ١٩ فبراير ٢٠٠٢ العدد ٨٤٨٤.

(٣) د. سعاد ماهر فهمي، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، (ج:١) (ص:٤٤).

(٤) د. زكريا سليمان بيومي، الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة في مصر المعاصرة، (ص:١٢٧، ١٥٣).

(٥) انظر: الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، مصطفى عبد الله شيحة، (ص:١٥٢).

(٦) شهر في دمشق لعبد الله بن خميس ٧٢ وانظر للتوسع العدد (١٣١) من مجلة البيان.

(٧) انظر . www.islammemo.cc/historydb/one_news

(٨) http://www.islammemo.cc =

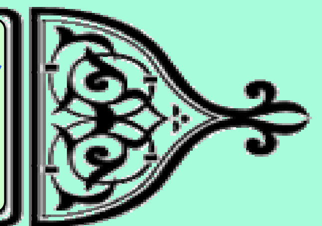
(٩) انظر موقع العربية. نت الإخباري السبت ٤ ديسمبر ٢٠٠٤م، ٢٢ شوال ١٤٢٥ هـ.

(١٠) المصدر الفرنسية نقلا عن http://www.aljazeera.net

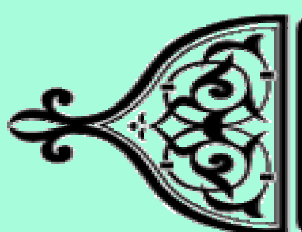
(١١) موقع شبكة البي بي سي.. وانظر أيضا جريدة الراية القطرية الأحد ٢٠٠٥/٤/٢٤.

(١٢) http://islamonline.net. وانظر أيضا جريدة الشرق الأوسط الإثنين ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٤ هـ ١٦ فبراير ٢٠٠٤ العدد ٩٢١١ وانظر أيضا جريدة الراية القطرية الخميس ٢٠٠٤/٣/٤.

(١٣) مجلة البيان العدد (١٣١).



# مولد "أبو حصيرة" بين الرفض الشعبي والسماح الحكومي



محمد الكومي



في نهاية كل عام ميلادي وانطلاق العام الجديد وفي قرية "دميتوه" بمحافظة البحيرة بمصر، يقام مولد "أبو حصيرة"، الذي يزعم اليهود أنه يهودي مات منذ أكثر من مائة عام، ودفنه من كانوا معه في تلك المنطقة ويحرص مسؤولو سفارة إسرائيل بالقاهرة على المشاركة في هذه الاحتفالات، كما يحضره العديد من حاخامات اليهود.

وليلة مولد "أبو حصيرة" لا يصبح الأمر مجرد زيارة دينية، وإنما ليلة ماجنة صاخبة حمراء تراق فيها كميات ضخمة من الخمر والحشيش وتدق الأرض بالعصي، ويبدأ الحفل الماجن بمزاد على مفتاح الضريح، ومن يدفع أكثر "يرسو" عليه المفتاح، وبعدها يبدأ الصخب والرقص والسكر، وما هو أبعد من السكر.

وأبو حصيرة رجل مختلف في ديانته وهويته، فهناك من قال هو رجل يهودي يدعى يعقوب، وعمل إسكافي بمدينة دمنهور أوائل هذا القرن، وتوفي وتم نقل رفاته إلى مقبرة اليهود بقرية دمنيوه، وتلمح هذه الرواية إلى أنه اعتنق الإسلام قبل وفاته.

وذكرت رواية أخرى أن "أبو حصيرة" أو يعقوب أبو حصيرة هاجر من المغرب إلى القدس وكان معه حصيرة هي كل متاعه من الدنيا، وعند وصوله إلى الإسكندرية قرر التوقف لزيارة أقاربه، وبعد أسبوع قامت ثورة عرابي عام (١٨٨٢)، ولم يستطع السفر فقرر البقاء وشاعت عنه أخبار الصلاح، وعندما توفي تم دفنه في أحد أطراف القرية وكتب على قبره "هنا يرقد رجل صالح جاء من المغرب عائدا إلى التراب".

كما جاء في رواية ثالثة تؤكد أن صاحب القبر هو مسلم بدليل إنشاء المقابر على الطريقة الإسلامية المتبعة في مصر.. وأن صاحب المقبرة هو محمد بن يعقوب، ويصل نسبه إلى الفاتح العربي طارق بن زياد.. وأن لقب أبو حصيرة يرجع إلى كونه لا يمتلك شيئا من حطام الدنيا سوى حصيرة يحملها وهو يتنقل في رحلاته.

ويدّعي اليهود اليوم في قصة مختلفة.. أنه حاخام يهودي، جاء إلى مصر قبل قرن من الزمان زعموا أن هاتفا دعاه إلى الهجرة من المغرب وإلى مصر، وأنه من عائلة مغربية، اسمها عائلة الباز وتسكن في منطقة اسمها تافيلات بالصحراء الغربية.. وأنه علم بموعد وفاته وثلاثة من أتباعه.

وحول أبي حصيرة وحقيقته كانت لنا بعض المحاورات القصيرة مع بعض المسئولين في محافظة البحيرة، والتي يقام بها مولد أبي حصيرة.

فصرح لنا المهندس "زكريا الجنايني" عضو مجلس الشعب عن دائرة كفر الدوار بمحافظة البحيرة: إن أبي حصيرة الذي يزور اليهود قبره في شهر ديسمبر من كل عام ويقيمون حوله الموالد والاحتفالات هو شخص مجهول غير معروف، البعض يقول إنه يهودي والبعض يؤكد أنه مسلم، وآخرون يقولون إنه يهودي وأسلم، وإحدى الروايات تقول إنه شخصية وهمية من نسج الخيال، لكن بغض النظر عن حقيقة هذه الشخصية فإن اليهود يستغلون هذا القبر، لتحقيق أهدافهم الخاصة.

ويضيف الجنايني أن اليهود يحلمون بتحقيق مشروعهم الكبير المتمثل في الدولة الصهيونية من النيل للفرات، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف فهم يسعون لإيجاد أي موطئ قدم لهم في هذه المنطقة متحججون بشتى الذرائع، وفي هذا الإطار اتخذوا هذا القبر (كمسمار جحا) يدخلوا ويخرجوا بحجته، وهناك اليوم ٢٠ مقبرة جديدة في شتى المحافظات يدور الحديث حول أنها تخص اليهود، وأنهم يريدون أن يكرروا مأساة "أبو حصيرة" مع هذه المقابر، والأمر لا يقتصر على مجرد الزيارة بل القضية دخلت في طور الاستيطان؛ حيث يريدون بناء مرافق من فنادق ومطاعم حول القبر لتكون إقامة دائمة، وإذا كنا نعاني من المستوطنات "الإسرائيلية" في فلسطين المحتلة فهل يعقل بأن نستجيب للضغوط التي تفرض علينا ونسمح بإقامة هذه المستوطنات على أراضينا.

وفي إجابته عن سؤال حول ردود فعل المواطنين في محافظة البحيرة تجاه هذا المولد؟

قال الجنايني: المواطن العادي مستاء جدا ورافض تماما إقامة هذا المولد، فقبيل وخلال إقامة المولد تتخذ إجراءات أمنية مشددة تقيد حركة المواطن، بل إن جميع الأنشطة وحركة الحياة تتوقف في المنطقة القريبة من القبر مما يشكل إزعاج كبير للمواطنين، هذا إلى جانب ما يصاحب الاحتفال من ممارسات غير أخلاقية تتنافى مع قيم وعقيدة مجتمعاتنا، ويكفي أن نذكر أن اليهود عرضوا على بعض الفلاحين البسطاء الفقراء مبالغ ضخمة جدا لشراء الأراضي بجوار المقبرة، تصل إلى خمسة ملايين جنيها للفدان ولكنهم رفضوا بشدة.

وبشأن تصريحات بعض المسؤولين بأن المولد لن يعقد هذا العام احتراما لقرارات القضاء، عبر الجنايني عن أسفه؛ لأن هذه التصريحات لم يكن لها صدى على الأرض ففي اليوم الذي صرح فيه محافظ البحيرة هذا التصريح ونشرته الصحف جاءت الأفواج اليهودية إلى مدينة دمنهور، ليقيموا المولد بالفعل، على الرغم من قرار القضاء لعام (٢٠٠١) و (٢٠٠٤) التي تمنع إقامة المولد.

وأشار النائب في مجلس الشعب المصري إلى عدد من الخطوات التي اتخذت لمنع المولد قائلا: تقدمنا في مجلس الشعب ببيان عاجل إلى الحكومة المصرية ندعو من خلاله لإجراء استفتاء شعبي لمنع إجراء احتفالية مولد "أبو حصيرة"، وطالبنا بأن يأخذ اليهود الرفات عندهم إن كانوا يريدونها حقيقة ويريحوا الشعب المصري.

ودعا الجنايني السلطات المصرية إلى اتخاذ موقف حازم يعبر عن إرادة الشعب بوقف هذا الاحتفال وعدم الرضوخ للضغوط التي يمارسها اليهود.

من جانبه، قال الشيخ "عبد المقصود برانية "رئيس المنطقة الأزهرية بمدينة دمنهور: إن مبدأ الاحتفال بالموالد مرفوض في الإسلام، فالإسلام يحرمها ولا يؤيدها، فضلا أنها تحتوي على مخالفات وموبقات.

وحول سؤال عن مشاركة بعض المسلمين في الاحتفال بالموالد التي قد يقيمها أتباع الديانات الأخرى كتلك التي تقام في الكنائس وكمولد أبو حصيرة؟

أجاب الشيخ بأن المشاركة فيها هو أشد حرمة، ولا يجوز شد الرحال إلا للمساجد الثلاثة: المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى، أما شد الرحال إلى هذه الموالد فلا يجوز والأموال التي تنفق عليها محرمة شرعًا.

من جانبه، قال د. محمد جمال حشمت - القيادي الإسلامي والنائب السابق عن مدينة دمنهور- تعليقا على مولد أبو حصيرة: إن إقامته مخالفة لأحكام القضاء؛ حيث صدر حكمان بمنع إقامة هذا المولد؛ الأول عام (٢٠٠١) والثاني (٢٠٠٤)، وحتى قرار وزير الثقافة الذي جعل القبر مزارا سياحيا مما يعني زيارته طوال السنة كمعلم سياحي وليس في شهر ديسمبر، لكن اليهود أصروا أن يقيموا مولدا ويحتفلوا به، وللأسف فقد رضخت الحكومة المصرية لمطالبهم على الرغم من المعاناة التي يكابدها أهالي المنطقة التي يوجد بها القبر، بسبب التضييق الأمني الشديد؛ حيث يتم عمل حزام أمني ولا يسمح بعبور أهالي المنطقة إلا ببطاقات الهوية، ويمنع عنهم زيارة الأصدقاء والأقارب.

وبشأن عدد اليهود الذين حضروا المولد، قال حشمت: ليس لدينا أرقام موثقة حول عدد الحضور، لكن عدد الحافلات التي أقلت اليهود حوالي (١٣) حافلة، الحافلة الواحدة تقريبا تقل من (٤٠) إلى (٥٠) فردا، وبغض النظر عن عدد الحضور فإن المشكلة قائمة حتى ولو حضر عشرة أشخاص فقط، وقبل ذلك كان يحضر الآلاف، ومجرد الحضور حتى ولو كان العدد قليل هو أمر لا ينبغي ويمثل استهانة لأحكام القضاء واستهانة بالشعب المصري نفسه الرافض لإقامة هذا المولد.

وعن الطقوس التي تصاحب الاحتفالات من رقص وشرب للخمور وأشياء أخرى إباحية، قال حشمت: كل هذا غير مقبول، وإقامة الاحتفال نفسه مرفوض حتى ولو لم تصاحبه هذه الأمور، فإذا صاحبه هذه الطقوس العبثية الماجنة صار أشد رفضا من الشعب الذي لا يقبل مثل هذه الأمور على أرضه.

وفي رده على سؤال حول احتجاج البعض بأن إقامة هذه المولد هو من قبيل الموالد الأخرى التي يقيمها الصوفية في مصر، وأن بعض المسلمين يزور قبر "أبو حصيرة" ويعتقد فيه؟

قال حشمت: هذه الأمور من زيارة للقبور والاحتفال بالموالد نحن نمقتها ونقف ضدها ونوضح لأبنائنا أن هذا الأمر مخالف للشرع، وهذا لا يعتبر ذريعة لإقامة مولد أبو حصيرة.

أخيرًا لا ندري إلى متى سيتوافد اليهود على أرض مصر لزيارة قبر أبو حصيرة، وإلى متى سيعاني أهل قرية دميتوه من هذه الزيارة التي تستغرق ما يزيد عن عشرة أيام يعاني فيها أهلها من الاحتياطات الأمنية من أجل الحفاظ على سلامة الوفود اليهودية؟ وإلى متى ستأتي هذه الوفود الملطخة يديها بدماء إخواننا في فلسطين تحت ستار ما يسمى مولد أبي حصيرة؟




## الكونجرس يدعم التيارات الصوفية في البلاد العربية



أكد د. أحمد محمد سلطان أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة القاهرة أن لجنة الحريات الدينية بالكونجرس الأمريكي المتشددة توصلوا إلى اختيار الإسلام الصوفي على اعتبار أنه الإسلام المعتدل الذي يتماشى مع المشروع الأمريكي وطموحاته في المنطقة، وصدرت التوصيات بضرورة خلق كتلة سياسية من الصوفيين تكون بديلًا للتيار الإسلامي.

وأكمل قائلًا: "بدأ الدعم الأمريكي للتيار الصوفي في مصر والمنطقة العربية عقب أحداث (١١) أيلول عندما اصطدم المشروع الأمريكي "الشرق الأوسط الكبير" مع التيارات الإسلامية الموجودة على الساحة الإسلامية".

وذكر د. عادل محيي الدين أستاذ علم الاجتماع بجامعة حلوان أن هناك بالفعل تحركات أمريكية ملحوظة لدعم التيار الصوفي في مصر، وقد بدأ هذا الدعم في أوائل (٢٠٠٥) عندما فوجئ الشيخ حسن الشناوي شيخ مشايخ الطرق الصوفية بالسفير الأمريكي "ريتشارد دوني" يطلب مقابلته، وعقد أول لقاء بين الشيخ حسن الشناوي والسفير الأمريكي بحضور مسئولين من الحكومة.

وأضاف: "أن اللقاءات تكررت بعد ذلك بين الشيخ الشناوي والسفير الأمريكي، خاصة في مدينة طنطا؛ حيث عرض ريتشارد دوني على شيخ مشايخ الطرق الصوفية فكرة دخول القيادات الصوفية للانتخابات البرلمانية كتيار ديني سياسي معتدل وعقب هذا اللقاء صرح الشيخ "حسن الشناوي" في أول تصريح سياسي له.. "أن المشيخة العامة للطرق الصوفية لم ترشح أحدًا ليمثلها في الانتخابات البرلمانية ولكنها لن تمنع أحد أعضائها من ترشيح نفسه على اعتبار أن هذا حق يكفله الدستور لكل مواطن".

كما صرح الشيخ "الحسن الشاذلي" عضو المشيخة العامة للطرق الصوفية " أن الزيارات المتكررة للسفير الأمريكي للموالد والمناسبات الدينية الصوفية قد تكون وراءها أهداف أمريكية سياسية، خاصة أن أمريكا تدرك عدد وحجم الصوفيين في مصر وثقلهم، إلا أن السفارة الأمريكية لن تتمكن من اختراق مشيخة الطرق الصوفية في مصر لأننا نعي وندرك كل الأبعاد"، على حد زعمه.

يذكر أن الدراسات والتقارير والأبحاث أكدت أن الدعم الحقيقي للصوفية بدأ في (٢٠٠٢/٣/٢٨)؛ حيث عقد في مدينة هامبورج الألمانية المؤتمر الثامن والعشرين للمستشرقين الألمان، والذي أفرد جلسات مطولة تحت عنوان "الأخوة الصوفية حركة اجتماعية معتدلة"، كما خصصت جلسة أخرى لدراسة صورة الموالد الصوفية في مصر، وفي المؤتمر نفسه وافقت الحكومة الألمانية على فتح أول معهد للشريعة الإسلامية يحمل اسم "النقشبندي"، أحد زعماء الطرق الصوفية.

وفي نهاية (٢٠٠٣) شهدت مدينة الإسكندرية مؤتمرًا فريدًا من نوعه عقد في مكتبة الإسكندرية تحت رعاية منظمة اليونسكو تحت عنوان "المؤتمر العالمي للطريقة الشاذلية"، وكان رعاة المؤتمر هم المركز الوطني الفرنسي للبحوث والدراسات، والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ووزارة البحث العلمي الفرنسية، ووزارة الخارجية الفرنسية.. وكانت وزارتا السياحة والخارجية المصريتان ضيفتين.

وفي أوائل (٢٠٠٤) استضافت وزارة الثقافة الدنماركية علماء ومشايخ الطريقة الفارضية، وعقدت مؤتمرًا دوليًّا استمر أكثر من عشرين يومًا تحت عنوان "الإسلام الصوفي بين الماضي والمستقبل"، وعقب هذا المؤتمر مباشرة تم افتتاح الأكاديمية الصوفية في مصر.

جريدة اللواء (٢٠٠٧/١١/٢٧).

## إطلاق مدونة لمناهضة مولد "أبو حصيرة"

قام عدد من المدونين بإطلاق مدونة بعنوان «مدونون ضد أبو حصيرة»، بدأت منذ ٢٥ نوفمبر الماضي.

وأكد القائمون عليها في رسالة تصدرت المدونة أنهم يمثلون أشخاصهم، ولا ينتمون لأي تيار أو اتجاه، وأنهم بصدد تكوين تكتل للمدونين، وأشاروا في رسالتهم إلى أنهم يعبرون عن ضمير الأمة التي ترفض زيارة الإسرائيليين مصر والاحتفال بمولد أبو حصيرة.

وذكر القائم على المدونة - الذي رفض ذكر اسمه- : "نحن نعلم أن الأمن يتعقب مولد أبو حصيرة ويمنع متابعته سنويًّا منعًا لفضح ما يحدث هناك من فظائع، ونحن نؤثر الوطن على شهرتنا ونتوجه إلى الله بجهودنا".

كما رفض "زهير جرانة" وزير السياحة المصري طلبًا رسميًّا تقدمت به الحكومة الإسرائيلية عبر سفارتها بالقاهرة، لإنشاء فندق سياحي خمس نجوم بجوار ضريح يعقوب أبو حصيرة الذي يقام احتفال سنوي باسمه في قرية دميتوه بمحافظة البحيرة في دلتا مصر.

وأنشأت الحكومة المصرية كوبري علوي أقيم خصيصًا في مدخل مدينة دمنهور لتأمين دخول وخروج حافلات الأفواج السياحية الإسرائيلية مباشرة إلى ضريح أبو حصيرة دون الحاجة إلى مرور الأفواج من وسط مدينة دمنهور.

كما زار الوفد الإسرائيلي برئاسة وزير الأديان الإسرائيلي ويضم القنصل الإسرائيلي بالإسكندرية و٨ مسؤولين إسرائيليين، قام بزيارة سريعة منذ عدة أسابيع لضريح أبو حصيرة، بهدف تفقد أعمال الإحلال والتجديد والترميمات التي أجرت للضريح.

ويشار إلى أن أهالي البحيرة سبق وأن قاموا برفع دعاوى قضائية لإلغاء هذا المولد وهذه الاحتفالات المنافية للأخلاقيات والآداب العامة، وقد صدر حكم قضائي في يناير عام ٢٠٠٤ من المحكمة الإدارية العليا يقضي بإلغاء قرار وزير الثقافة فاروق حسني باعتبار ضريح "أبو حصيرة" من المناطق الأثرية، وبالتالي إلغاء كافة مظاهر الاحتفال في هذه القرية.

المصري اليوم (٢٠٠٧/١٢/٧)

## مهرجان صوفي بالجزائر لموسيقى "العيساوة" الوثنية الأصل



عقد بمدينة "ميلة" قرب قسنطينة بالشرق الجزائري، "مهرجان موسيقى العيساوة" تحت عنوان "على خطى الماضي".

وكانت الدورة الأولى لهذا المهرجان قد بدأت السنة الماضية، بعد أن تعذر ذلك في مدينة قسنطينة التي اعتبرت على مدار قرون عديدة أحد معاقل ما يسمى بالموسيقى الدينية المرتبطة بالطرق الصوفية، وهي مأخوذة من موسيقى القناوة الوثنية القادمة من إفريقيا السوداء، وتشترك معها في الطابع العام.

عادت فرق «العيساوة» إلى الواجهة، وأصبح لها مهرجانها الخاص الذي أصبح مغربيًّا، وشاركت فيه هذه السنة فرق من خارج الجزائر مثل الفرقة السلامية من تونس، والفرقة العيساوية من المغرب، وفرقة العيساوة من ليبيا، إضافة إلى فرق عيساوية من مختلف مقاطعات الجزائر المختلفة.

وكادت موسيقى العيساوة أن تندثر، لكن ظروفًا عديدة أعادتها في السنوات الأخيرة إلى الواجهة، في المغرب العربي كله ووصلت بها إلى أوروبا، منها دعم الطرق الصوفية لهذا النوع من الموسيقى، والدعم الحكومي لهذه الطرق.

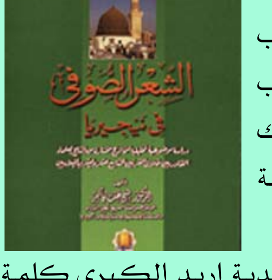
وعن أسباب تراجع موسيقى العيساوة التي انتشرت بقوة طيلة القرون الماضية، قال الشيخ "زين الدين بن عبد الله": إنها راجعة إلى التكنولوجيا الحديثة التي أتت بالتلفزيون والفضائيات وغيرهما من وسائل التلقي الفني، ويرى آخرون أن هناك أسبابا أخرى لتراجعها، لعل أهمها الانتشار الواسع لأفكار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الشرق الجزائري خاصة، وهي الجمعية المتأثرة بأفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتي حرصت على محاربة البدع.

و"العيساوة" طريقة صوفية مثل "التيجانية" و"القادرية" وغيرهما، ظهرت لأول مرة في مدينة مكناس المغربية، ومؤسسها الذي تنسب إليه هو الشيخ "محمد الهادي بن عيسى" الذي عاش في مدينة مكناس وتوفي سنة ١٥٢٦

للميلاد بحسب بعض المؤرخين، وعرف بين أتباعه على مدار القرون اللاحقة لوفاته بلقب الشيخ الكامل، بحسب ادعائهم.
يذكر أن أصول موسيقى القناوة إفريقية وثنية، تعزف ضمن طقوس لعبادة الأوثان ولنيل رضاء ما يسمى الآلهة الوثنية، وانتشرت بقوة بين الطرق الصوفية في الجزائر وتونس وليبيا وأوروبا، وأصبح لها مهرجانها الدولي الذي يطمح لنشرها بقوة.

جريدة الشرق الأوسط (٢٠٠٧/١٠/٣١).

## مؤتمر أردني حول النزعة الصوفية في الأدب العربي




تحت رعاية السلطات الأردنية عقد مؤتمر النزعة الصوفية في الأدب العربي الذي تنظمه رابطة الكتاب الأردنيين فرع إربد، وجامعة اليرموك ضمن فعاليات إربد مدينة الثقافة الأردنية عام (٢٠٠٧).

وألقى "عبد الرءوف التل" رئيس بلدية إربد الكبرى كلمة في افتتاح المؤتمر أكد من خلالها على أن الحركة الصوفية هي حركة حياة، ولولا زوايا الصوفيين في بلاد المغرب العربي لضاع المغرب من العرب والمسلمين، بحسب قوله.

ودعا إلى إعطاء الأدب الصوفي حقه من خلال دراسته المعمقة؛ لأنَّ فيه تماسًّا مع الواقع وينقي الإنسان من كل الشوائب، على حد قوله.

كما ألقى د. محمد الزعبي رئيس رابطة الكتاب الأردنيين كلمة أشاد من خلالها بجامعة اليرموك على استضافتها لفعاليات المؤتمر ودعمها المتواصل للثقافة الوطنية، مشيرًا إلى أن فعاليات المؤتمر ستناقش محاور متنوعة تتناول التجربة الصوفية من حيث المفهوم، والتجربة الصوفية والتجربة الأدبية، والنزعة الصوفية في الشعر القديم، والنزعة الصوفية في النثر العربي القديم بالإضافة إلى محور النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث.

من جانبه ألقى د. عزت حسن من جامعة اللاذقية السورية كلمة نيابة عن المشاركين بالمؤتمر، شكر من خلالها رابطة الكتاب الأردنيين وجامعة اليرموك على عقد هذا المؤتمر، وأشار إلى أن المؤتمر وموضوعه التصوف يعد متعة أدبية من متع الدنيا، ولا يدري عنها شيئًا في الآخرة؛ لأن ما بين المنطق والصوفية بُعْد ما بين الأرض والسماء.

هذا وشارك في المؤتمر عدد من الأدباء والمثقفين من الجامعات الأردنية الرسمية والخاصة والجامعات السورية، وفلسطين، والعراق، وجامعة السوربون باريس.

جريدة اللواء الأردنية (٢٠٠٧/١٢/١٠)



## الشواذ يتخذون ضريح "سيدي علي بن حمدوش" المغربي محجا لهم



أثار عقد حفل زواج بين شاذين من المغرب عند ضريح "سيدي علي بن حمدوش" وحضور أكثر من خمسين شخصًا لحفل الزواج الكثير من الاستهجان عند أبناء الشعب المغربي، وقيامهم بالهجوم على بيت العروس الشاذ.

وجاء زواج الشاذين جنسيًّا بحسب ما نشرته وسائل إعلام محلية على "الطريقة المغربية"؛ حيث ضمت إلى جانب "العروسين" مدعوون من مدن مغربية مختلفة، من ضمنهم شواذ وعاهرات وتجار خمور ومخدرات.

وبدأ الحفل بتزيين العروسين من طرف "النكّافات"، وهنّ النساء اللاتي يكلفن بتزيين العرائس بالمغرب؛ حيث تحمل كل "نكّافة" الألبسة والحلي معها إلى منزل العروس، وتشتغل على تزيين العروس وتقديمها في أبهى حللها.

وتم حمل "العروس" على "العمارية" (لوحة خشبية مزخرفة تحمل عليها العروس)، وسط تصفيقات الحاضرين الذين ما فتئوا يرددون الأهازيج الشعبية المرتبطة بمناسبة العرس.

ونشرت يومية "المساء" أن الشواذ الحاضرين تأسفوا لعدم حضور "عدول" (شهود) لتوثيق الزواج رسميًّا.

صرح الداعية المغربي "عبد الباري الزمزمي" النائب البرلماني عن حزب النهضة والفضيلة أن ما وقع في "القصر الكبير" هو "مجاهرة" بالفاحشة، وجب على المسؤولين الأمنيين اتخاذ خطوات عملية لمواجهتها والضرب بيد من حديد على الذين يقفون وراءها.

وتابع: "لا الشرع ولا المنطق ولا الأعراف تقبل أن يتحدى أحدهم المجتمع ويجاهر بالفاحشة؛ لأن في ذلك استفزازًا لمشاعر المسلمين وإيذاءً لهم".

وحول دور العلماء أوضح "الزمزمي" أنه لا يمكن لوم العلماء على ضعف دورهم الإصلاحي بالمجتمع؛ وذلك بسبب التضييق الكبير الذي يعانون منه، "فأغلبهم - العلماء- يجد صعوبة في إيصال رأيه عبر وسائل الإعلام، كما أن دورهم الميداني محدد بدقة من طرف السلطة، وبالتالي يبقى المسجد المكان الوحيد للإصلاح بالنسبة لهم، لكن للأسف ليس كل الناس يرتادون المساجد".

وقامت الشرطة المغربية بتوقيف عدد من الحاضرين لهذا

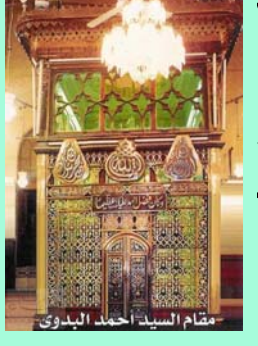
العرس، ومن بين الموقوفين "العروس الشاذ" وعناصر من الفرقة التي أحيت الحفل والمصور والمكلفة بتزيين العروس، في حين ما زال مصير "العريس" مجهولًا؛ إذ تضاربت الأنباء حول وجوده ضمن المعتقلين، فيما أبرزت مصادر من المدينة أنه فرّ برفقة عدد من الشواذ الذي تملكهم الخوف من تعرضهم لهجوم مماثل، على يد شباب المدينة، كما حدث مع "العروس الشاذ".

ويعتبر المجتمع المغربي الشواذ خارجين عن الأعراف رغم وجود موسمهم السنوي عند ضريح "سيدي علي بن حمدوش" في ضواحي مكناس، الذي أصبح محجًّا لممارسة طقوسهم واحتفالات زواجهم رغم أن القانون يحظر هذه الظواهر.

ورغم أن ضريح "سيدي علي بن حمدوش" مقدس من الصوفية بالمغرب، إلا أنه يشهد الكثير من الممارسات غير المقبولة اجتماعيًّا وقانونيًّا مثل أعمال الشعوذة والدعارة، وكذلك حفلات زفاف لمثليين من الرجال.

موقع إسلام أون لاين (٢٠٠٧/١١/٢٨)

## مسلسل عن سيرة السيد البدوي


مقام السيد أحمد البدوي

ذكر المؤلف "سمير الجمل" أن يقوم بكتابة مسلسل تلفزيوني يتناول سيرة حياة السيد البدوي تحت رعاية مدينة الإنتاج الإعلامي المصرية، وزعم أنه يريد بهذا العمل فض الاشتباك بين أنصار الصوفية وأعدائها في محاولة لتنقية الشوائب وتصحيح صورة الإسلام والمسلمين من خلال سيرة البدوي.

وأكد أنه يسعى في هذا العمل إلى إيصال رسالة مهمة تتلخص في توضيح أن السيد البدوي الذي كان يظن البعض أنه سني ينتمي في نسبه إلى تسعة من الأئمة الاثنى عشر الشيعة.

هذا، ويرى بعض الباحثين أن العلويين الشيعة هم الذين أرسلوا (أحمد البدوي) لنشر دعوتهم بمصر، لإرجاع الملك الفاطمي الشيعي.

وفي هذا يقول الشيخ (مصطفى عبد الرازق) شيخ الأزهر: إن العلويين لم يجدوا أكفأ من السيد البدوي لهذه المهمة كمبعوث سري للصوفية المتشيعين، فوجهوه إلى الديار المصرية.

وكان البدوي لا يصلي وإذا نصحه الناس ووبخوه على عدم الصلاة كان يقول لهم: أنا أصلي في مكة مع الخضر والأبدال.

وكان يكذب على الله ويقول: "لقد قابلت الله وطلبت منه ثلاث مطالب أعطاني منهن اثنتين ومنعني الثالثة، أعطاني من حج قبري مرة واحدة بسبع حجات إلى بيته في مكة، وأعطاني لكل من حج إلى قبري حجة له نجاة من النار له ولجيرانه حتى الجار السابع، وطلبت من ربي أن يدخلني النار فرفض ذلك فقالوا له لماذا رفض ربك إدخالك النار؟ فقال لو أدخلني النار لتمرغت فيها وأصبحت حشيشا أخضر (أي أصبحت جنة بقوة البدوي وقدرته)، وكان حقًّا على الله أن يعذب بها القوم الكافرين، تعالى الله عن هذا الزعم علوًّا كبيرًا.

يذكر أن أكثر من مليوني زائر يفدون إلى مدينة طنطا - وسط دلتا مصر- في (نوفمبر) من كل عام لزيارة ضريح البدوي، ويحرص السفير الأمريكي في القاهرة ريتشارد دوني حضور المولد كل عام، مما يثير الكثير من التساؤلات، خصوصًا أنها زيارة لحفلة زاخرة بـ الدروشة، البعيدة عن الحياة الأمريكية العملية.

صحيفة دار الحياة (٢٠٠٧/١٢/١٢)



## الطريقة البرهانية تطل بوجهها من جديد في مصر



قام حفيد البرهاني والذي يقيم بألمانيا ويدعى "محمد إبراهيم عبده البرهاني" بزيارة سريعة لمصر في محاولة لبعث نشاط «الطريقة البرهانية»، ولكن لا أحد يعلم ماذا فعل وقد غادر مصر.

ووزع بعض الأشخاص التابعين للطريقة سبحة وورقة بها أسماء للرسول مغلوطة على الناس والمحلات في الشارع، وحتى الآن لا يعلم هؤلاء الذي يقتنون الورقة المجهولة الهوية والتي تحتوى على (١٩٥) اسمًا للرسول، كما يدعى أصحاب هذه الورقة، وسبحة عددها مائة حبة، ولها شكل مختلف، أن هذين الشيئين للطريقة البرهانية المحظورة في مصر.

وكانت الطريقة البرهانية قامت مع بداية التسعينيات بتأليف كتابين اعترض مجمع البحوث الإسلامية عليهما وحظر تداولهما، وتمت مصادرتهما، وهما «تبرئة الذمة في نصح الأمة» و«بطائن الأسرار» وقد زعموا أن مؤلفيهما من «أهل البرزخ».وتم شجب هذين الكتابين للمغالطات التي وردت بهما والمفاهيم التي تقوم على الجان والبرزخ وأشياء أخرى لا يقرها الدين، وتمت مصادرة الكتابين بواسطة وزارة الأوقاف والأزهر وشيخ الطرق الصوفية آنذاك «أبو الوفا التفتازانى»، وعلى هذا الأساس منعت هذه الطريقة من

مزاولة نشاطها في مصر لمخالفتها ومغالطاتها الشديدة.

كما تمارس هذه الطريقة أعمال السحر وتحضير الأرواح والجان، ولها سمعة سيئة لاختلاط الرجال بالنساء لقياس قوة الإرادة، حسب زعم هذه الجماعة.

ويذكر أن هناك تحالفًا ضمنيًّا بين «البرهانية» المحظورة و«البرهامية» وهي جماعة صوفية مصرية مقرها في شارع المنصورية بالدراسة، وأن هذا التحالف يجعل «البرهانية» إذا ما أرادوا مزاولة نشاط ما لهم، فإنهم يلجئون لمقر «البرهامية».

مجلة روز اليوسف (٥/١١/٢٠٠٧)



## توفيرًا لنفقات الحج لمكة طرق صوفية تحج للسنغال وكازاخستان



تحت عنوان "أين تحج هذا العام؟!" كتبت مجلة روزاليوسف "إذا كنت مفلسًا وتعتقد بسهولة بالخرافات وتؤمن بتقاليع الطرق الصوفية عليك أن تختار بين الحج إلى السنغال أو إلى مكة الثانية بكازاخستان بديلًا عن الحج الصحيح إلى البيت الحرام، هكذا تقول بدع هذا الزمان!".

ففي السنغال يشتهر عند أرباب التصوف رحلة الحج إلى ضريح "أحمد دوبامبا"؛ حيث يتوافد مئات الآلاف من أتباع الطرق الصوفية لزيارة هذا الضريح والمكوث عنده ثلاثة أيام ضمن طقس سنوي يقترب كثيرًا من أسلوب الحج إلى بيت الله الحرام.

كما يؤدي بعض أتباع الطرق الصوفية ما يسمونه "حجًّا أصغر" في كازاخستان، وذلك على مدار العام، ووفق طقوس خاصة منبثقة من تقاليد وعادات شعبية.. وأما مقصدهم في حجهم، فهو مدينة يطلقون عليها اسم "مكة الثانية".

وأكثر ما يميز هذه المدينة هو توافد أناس كثر من كافة مدن ودول آسيا الوسطى للتبرك بها ولأداء ما يعتبرونه الحج الأصغر، الذي يختلف عن الحج الأكبر لمكة المكرمة.

وعزا المؤرخ "أنور تولغانوف" أسباب إطلاق اسم مكة الثانية على تركستان بقوله: "إن السفر من وسط أسيا والوصول إلى مكة المكرمة كان يشكل صعوبة ومشقة كبيرة للمسلمين ويكلف أموالًا طائلة، فاستعاض البعض عن الحج بالسفر إلى تركستان، ولا ننسى أيضا أن الأساطير والخرافات أضفت طابع القدسية على المدينة".

وينهي الزوار حجهم الأصغر بالدعاء داخل إحدى القاعات التي يتضمنها المسجد وهي عديدة، فمنها قاعة كان يجلس فيها خانات أسيا الوسطى خلال عصورهم السالفة، أما القاعة فزيارتها تعد الأهم في تلك الطقوس، لأنها تحوي ضريح الحاج "أحمد الياساوي".

وتبدأ طقوس الحج في "مكة الثانية" بالدوران حول مسجد تركستان والتبرك بجدرانها إلى حد تقبيلها، ويتابع الزوار أداء طقوسهم الخاصة بالدخول إلى المسجد والدعاء أمام الصحن المعدني الضخم وسط ساحته.

ولذلك الصحن وضع خاص؛ حيث صنع بأمر من الأمير تيمور في العام ١٣٩٣ في قرية ياس بالقرب من تركستان من الذهب والفضة والبرونز والحديد الأحمر والبلاتين ومعادن أخرى، من أجل وضع الماء فيه وقتها، ونقش عليه كتابات عربية في ثلاثة أقسام، وفي القسم الأول كتب حديث للرسول عليه الصلاة والسلام فحواه: "أن من حفر بئرًا في سبيل الله كتب الله له بئرًا في الجنة".

أما القسم الثاني فنقش عليه اسم الحرفي الذي صنع الصحن وهو "عبد العزيز بن شرف الدين التبريزي"، وفي القسم الثالث كتب "العظمة لله"، ويبلغ وزن الصحن ٢ طن، ويتسع لـ(٣٠٠٠) لتر من الماء، ويعتقد السكان المحليون أن ماءه مبارك مثل ماء زمزم.

جدير بالذكر أن علماء الأزهر استنكروا بدعة القيام بـ'الحج' إلى قبر 'أحمدو بامبا'، الذي توفي في عام ١٩٢٧ودفن في مدينة طوبة، وقد استجاب لهذه البدعة مئات الآلاف من السنغاليين.

وبالرغم من انتشار مرض الكوليرا في هذه المنطقة، إلا أن الزوار توافدوا من مختلف أنحاء البلاد لأداء هذه الزيارة، والذي أدى لإصابة ٢٠٥٤ شخصًا بنفس المرض.

ويستفيد من هذه البدعة زعماء الصوفية الذين يقومون بجمع التبرعات من الزوار الذين يتوافدون إلى قبر 'بامبا'، والذي بني له مسجدًا كبيرًا بالإضافة إلى قبره الضخم.

وقد رفض علماء الأزهر هذه البدعة معلقين بقولهم: إن الحج هو قصد بيت الله الحرام وموقعه مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية، مؤكدين قول الرسول صلى الله عليه وسلم: 'لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا'، وليس غير ذلك، كما قال تعالى: ((وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)) [آل عمران:٩٧]، ولا يوجد مكان آخر يستعاض به لأداء الفريضة، ومن يقوم بغير ذلك فهو آثم ويحاسبه الله عليه يوم القيام حسابًا عسيرًا.

مجلة روزاليوسف (١٥/١٢/٢٠٠٧)

## احتفالية ضخمة بذكرى مولد ابن الرومي بسوريا

أقامت وزارتا الثقافة والسياحة بالتعاون مع السفارة التركية في دمشق ودار الأسد للثقافة والفنون احتفالية بمناسبة مرور ٨٠٠ عامٍ على مولد "جلال الدين الرومي" صاحب الطريقة المولوية.

عقدت الاحتفالية بدار الأوبرا، وتضمنت الاحتفالية محاضرة بعنوان "جلال الدين الرومي وحضرة الجميل" للدكتور "محمود أرول كليج" من تركيا، ومعرضًا للصور عن جلال الدين الرومي.

كما عرض فيلمًا للتعريف عن تركيا ورقص السما المولوي، الذي هو أهم طقوس الطريقة المولوية.

يذكر أن منظمة اليونسكو أعلنت عن تكريم جلال الدين الرومي شيخ الطريقة المولوية كشخصية عالمية.

ويشار إلى أن الاحتفال بالذكرى الـ ٨٠٠ لجلال الدين الرومي ستُقدَّم في أكثر من ١٨ بلدًا تمتد من الأرجنتين وصولًا إلى إندونيسيا، وسيتم خلالها تقديم الحضرة المولوية والموسيقى الصوفية والعسكرية التركية.

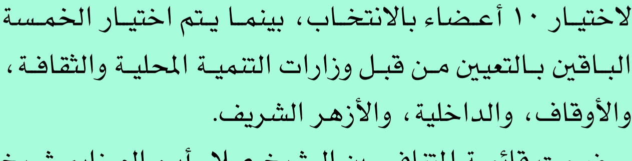
هذا، وتعتبر الطريقة المولوية من غلاة الطرق الصوفية، وكانت تدعو لوحدة الأديان، فمن أقوال ابن الرومي: (انظر إلى العمامة أحكمها فوق رأسي، بل انظر إلى زنار زرادشت حول خصري، مسلم أنا ولكني نصراني وبرهمي وزرادشتي. ليس لي سوى معبد واحد؛ مسجد أو كنيسة أو بيت أصنام).

موقع وزارة الثقافة السورية (٢٠٠٧/١١/٢١)

## الصوفية يتصارعون على المناصب والدنيا

مما يعد مخالفة واضحة لادعائهم بأنهم طلاب آخرة وأن همهم السلوك إلى الله والزهد في الدنيا ومناصبها الزائلة شهدت انتخابات عضوية المجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر خلافات حادة بين مشايخ الطرق أثناء فرز الأصوات وعقب إعلان النتائج التي طعن فيها عدد منهم، مما أدى لصدور قرار ببطلانها وإعادة إجرائها الشهر المقبل.

كان التنافس واضح بين ٢٣ شيخًا على ١٠ مقاعد بالمجلس المكون من ١٥ مقعدًا، الذي يسيطر على كافة القرارات المتعلقة بالطرق، والتي تجري انتخاباته كل ثلاث سنوات



لاختيار ١٠ أعضاء بالانتخاب، بينما يتم اختيار الخمسة الباقين بالتعيين من قبل وزارات التنمية المحلية والثقافة، والأوقاف، والداخلية، والأزهر الشريف.

ضمت قائمة المتنافسين الشيخ علاء أبو العزايم شيخ الطريقة العزمية، وأحمد كامل ياسين شيخ الطريقة الرفاعية، وإبراهيم حامد سلامة شيخ الطريقة الحامدية الشاذلية، ومحمد أبو هاشم شيخ الطريقة الهاشمية، ومحمد عاشور شيخ الطريقة البرهامية.

شهدت الانتخابات خلافًا على اللجنة المكلفة بفرز الأصوات التي تضم خمسة أعضاء يتم تحديد ثلاثة منهم من قبل المحليات، واثنين من قبل المجلس الأعلى، ورغم الاعتراض على العضوين خوفا من تحيزهما لأعضاء بعينهم، لم يتم تغييرهما.

وخلال فرز الأصوات لم يستطع شيخ الطرق الصوفية الشناوي أن يقلل من حدة انفعالات مشايخ الطرق المتصارعين على المناصب، ومنهم الشيخ أحمد كامل ياسين الذي ظل طوال الوقت معترضا على لجنة الفرز، مكتفيًا بعملية التنظيم ومحاولة تهدئة الوضع بين المشايخ الذين بدوا متحفزين لظهور النتيجة.

وتأزم الأمر بالفعل عند إعلان نتائج الانتخابات بفوز أحد عشر عضوًا بدلًا من عشرة أعضاء، وذلك لتساوي خمسة من المرشحين في الأصوات التي حصلوا عليها (٣٣ لكل منهم)، فأعلن "عبد الخالق الشبراوي" شيخ الطريقة الشبراوية، وأحد الفائزين بتعادل الأصوات تنازله عن عضويته لحل المشكلة، إلا أنه تراجع مرة أخرى مما زاد الموقف تأزمًا.

وكان هذا التراجع السريع من الشبراوي سببًا في إعلان الجمعية العمومية للمجلس عدم صحة نتيجة الانتخابات، ورفض اقتراح الشيخ حسن الشناوي بإجراء انتخابات بين الخمسة أعضاء المتساويين في عدد الأصوات باعتباره مخالفًا للقانون، مما أدى إلى الإعلان عن إعادة الانتخابات الشهر المقبل.

يذكر أن أعضاء المجلس السابق هم الذين فازوا هذا العام أيضا بالإضافة لعبد الرحيم العزازي شيخ الطريقة العزازية، وهم الشيخ سلامة شيخ الطريقة الحامدية الشاذلية، وياسين شيخ الطريقة الرفاعية، وسالم الجاذولي شيخ الطرقة الجاذولية، وعبد الهادي القصبي شيخ الطريقة القصبية، وأحمد الصاوي شيخ الطريقة الصاوية، ومحمود محمد أبو القيصي شيخ الطريقة القيصية، وأبو العزايم شيخ الطريقة العزمية، ومختار علي إبراهيم شيخ الطريقة الدسوقية.

موقع إسلام أون لاين (٢٠٠٨/١/٤)

## الطرق الصوفية في مصر تحاول نفي علاقتها الوثيقة مع الأمريكان




عقد مؤتمر تحت رعاية الطرق الصوفية تحت عنوان "تفعيل الدور الصوفي في أمن واستقرار المجتمعات"، حاولت بعض الطرق أن تتبنى موقفًا رافضًا لسياسة الولايات المتحدة، وغزوها لبعض البلاد الإسلامية.

وعن الهدف من عقد المؤتمر أكد الشيخ "مختار الدسوقي" شيخ الطرقة الدسوقية "أن انعقاد المؤتمر يأتي في وقت يتهدد الأمة خطر داهم متمثل في وحشية النظام العالمي الجديد الذي يتبنى الفوضى الخلاقة، وعدم الأمن والاستقرار والسيطرة على المجتمعات، مما يؤكد أن العمل الجماعي هو القاعدة لاستعادة دور الأمة الإسلامية الحضاري".

وأضاف الدسوقي "هذا النظام العالمي عندما كلفته الحروب الكثير، أراد أن يستخدم الفوضى الخلاقة عن طريق زعزعة الأمن والاستقرار، وشواهده واضحة في السودان والصومال ولبنان، فهذا نظام وحشي ليس لديه أخلاق، ويوجب على الصوفية أن ينبهوا الناس لهذا الخطر، وأن يعملوا على تحقيق الأمن في المجتمع، وعدم الإنصات لأية دعوات خارجية".

وطالب الحسيني السياسيين أن يجربوا الصوفية ولا يخشوا من انتشارها بين صفوف الشعب قائلًا "نقول للساسة لا تخافوا من الصوفية فهم ليسوا مطالبين بكراسي الحكم، ولن ننازع أحدا على ذلك، ولكن جربوا الصوفية وسترون أمن المجتمعات واستقرارها".

أكد د. أحمد السايح أستاذ العقيد بجامعة الأزهر أن الصوفية لا يمكن أن يتم استغلالهم من قبل أية جهة خارجية، وأن المجتمعات الإسلامية أصبحت بحاجة للصوفية لتحقيق الاستقرار في مواجهة مخططات الهدم الخارجية وفق النظام العالمي الجديد.

وظهر لكثير من الحضور أن السايح يعقب على ما ذهبت إليه في الأعوام الأخيرة تحليلات العديد من المراكز البحثية الأمريكية؛ حيث صنفت الصوفية في خانة "الإسلام المعتدل"، ودعت الغرب إلى تشجيعها ورعايتها باعتبارها تنبذ العنف ولا تتبنى التطرف.

وفي حضور سكرتير أول السفارة الأمريكية بالقاهرة إدوارد وايد وغيره من الدبلوماسيين الأجانب في القاهرة، طالب الشيخ حسن الشناوي رئيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية بجعل التصوف منهجًا دراسيًّا في المعاهد والمدارس.

وفي ختام المؤتمر، أرسل مشايخ الطرق الصوفية برقية تأييد للرئيس المصري حسني مبارك، وطالبوا القيادة السياسية بـ"إفساح المجال للمنهج الصوفي لعلاج ماسماه بالتطرف".

وشارك في المؤتمر مشايخ الطرق الصوفية البالغ عددها في مصر ٧٤ طريقة، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشيخ علي عبد الباقي الذي حضر نيابة عن شيخ الأزهر سيد طنطاوي، بالإضافة إلى حوالي ٣ آلاف صوفي.

وأوصى المؤتمر في ختام أعماله مساء السبت بتبني أنشطة ثقافية واجتماعية للصوفية تجوب المحافظات، وإنشاء هيئة عليا للتصوف للنهوض به وتقديمه بالصورة اللائقة به والدفاع عنه، كما طالبوا باستمرار المؤتمرات الصوفية، وتكثيف حضور مشايخ الطرق فيها مع الاستعانة بعلماء الأزهر الشريف.

موقع إسلام أون لاين ٢٠٠٨/١/٦

## في مؤسسة داود الحمراء تحالف يهودي نصراني صوفي



في أمسية بمؤسسة داود الحمراء وفي حضور عضو الكنيست الراب ميخائيل ملكيئور، وحاخام حيفا الرئيسي الحاخام شئاريشوب هكوهين، والشيخ د. خالد كركور من أكاديمية ألقاسمي الخلوتية، ود. فوزي خوري، عن الكنيسة الكاثوليكية، وماجين إلي يافيه مندوب عن مؤسسة داود الحمراء عقدت ندوة عن أهمية حياة الإنسان.

وتحدث الحاخام شئاريشوب هكوهين فقال: "إن جميع الديانات مصدرها أبونا إبراهيم، وإن من مبادئ الديانة اليهودية مساعدة المحتاج، حتى لو جاء ذلك على حساب تأجيل ما هو مقدس، كيوم الغفران أو يوم السبت، ومن ينقذ نفسا كأنه أنقذ عالم بأكمله، إن من مبادئ الدين اليهودي هو التبادلية في التعامل، كذلك تجاه العدو، حتى في قدسية الحياة؛ لأن الحياة مقدسة كون الله خلق الإنسان

على صورته، ولهذا فالدم هو الحياة، والأعضاء تنقذ النفس".

أما الشيخ د. خالد كركور الخلوتي فقد حضر هذه الندوة متجاهلاً لما يحدث بمسلمي فلسطين وشارك في الندوة قائلًا: "إن الله خلق الإنسان وكرمه على جميع المخلوقات، كل مقاصد الشريعة في الإسلام تدور حول حياة الإنسان وحفظ النفس، فقط من خلق الروح يأخذها، ومن يعتدي على إنسان كأنه اعتدى على الإنسانية كلها، وحسب الشريعة ممكن كسر الصوم من أجل إنقاذ حياة إنسان، حتى الامتناع عن الصلاة لإنقاذ الحياة، كذلك فإن الدين الإسلامي منع التعدي على الجنين من أجل الاستمرار في الحياة الإنسانية؛ لأن النفس عزيزة وغالية عند الله كونه وهب حق الحياة وهو يملك إنهائها".

كذلك تحدث الحاخام عضو الكنيست ميخائيل ملكيئور، رئيس الجلسة، فقال: "عند جميع الديانات المبدأ الذي بواسطته يمكن إحلال السلام في العالم؛ لأنا كلنا أبناء آدم والإنسانية، لكن نحن نهتم في أنفسنا تاركين العالم.

في السنوات المقبلة سيكون إنقاذ العالم مبني على ذوي مبادئ بإمكانهم التغيير والبناء، إن ما جاء في الوثيقة



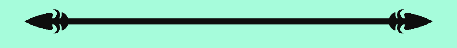
التي وقعت هو أن إنقاذ الحياة هو اعتبار ديني للحياة وإن نص الوثيقة مبني على مبادئ الديانات الثلاث"، ونادى في كلمته المواطنين للإسهام، كل بحسب مقدرته من أجل الإنسانية.

جدير بالذكر أن أكاديمية القاسمي والتي مثلها كركور في الندوة الصهيونية تابعة للطريقة الخلوتية تدعو لما يسمى باندماج الأديان وتذكر في صدر موقعها أنها تسعى إلى إعداد شخصية إنسانية قادرة على الحوار الإنساني مع الثقافات الأخرى، وتبحث عن الحقيقة دائما في عصر ما بعد الحداثة والإصغاء لبدائل ومواقف متباينة وتحليل القضايا والمعطيات بعقل مفتوح واستخلاص العبر منها.

أهم عقائدها القول بوحدة الوجود، مثل بقية الصوفية. يقول إسماعيل حقي: "للتوحيد ثلاث مراتب: توحيد المبتدئين (لا إله إلاّ الله)، وتوحيد المتوسطين (لا إله إلاّ أنت)، وأما المكمّل (فلا إله إلاّ أنا).

كما من عقائدهم الاعتقاد بـ"الحقيقة المحمدية" يقول د. الحفني عن أبي البركات الدردير - أحد مشاهير هذه الطريقة- : "ويبرز في مذهبه قوله بالحقيقة المحمدية، الذي يصدر فيه عن السلف من فلاسفة الصوفية، كالحلاج، وابن عربي، وابن الفارض، باعتبار أن النبي عليه الصلاة والسلام له في زعمهم حقيقتان: الحادثة التي نعرفها، والقديمة التي يستمد منها كل الأنبياء والأولياء، وهي المصدر لكل وجود وعرفان".

موقع بُكرا (٢٠٠٧/١٢/١٣)



## الصوفية يسعون لمواجهة المد السلفي بالجزائر



في خطوة تدل على خفوت نجم الطرق الصوفية في الجزائر والمغرب العربي واستشعار قادة التصوف لهذا الخطر، طالب د. محمد بن بريكة - المنسق الأعلى للطريقة القادرية الصوفية في الجزائر- الحكومة إلى إنشاء هيئة عليا (مشيخة) تجمع كافة الطرق الصوفية، لمحاصرة ما دعاه "المد السلفي" في البلاد.

وطالب "بن بريكة" وزارة الشؤون الدينية والأوقاف إيجاد هيئة تهتم بالزوايا والطرق الصوفية ومجلس أعلى للزوايا، ومشيرًا إلى الإسراع بإنشاء منصب مفتي الجمهورية الذي يجب أن يكون مالكيًّا (المذهب الرسمي) متصوفًا للحفاظ على المرجعية الدينية للأمة.

كما دعا "بن بريكة" أن يتولى شؤون هذه المشيخة شيوخ الزوايا والمتخرجون في رحمها، على أن تسعى هذه المشيخة إلى إعادة دور الزوايا في محاربة الغلو والتطرف والتيارات الوهابية والشيعية الوافدة والمهددة لاستقرار المرجعية المالكية للمجتمع الجزائري، على حد قوله.

وقال "بن بريكة: حان الوقت لمحاصرة الأفكار الوافدة والهدامة التي تزرع الفتنة بمختلف أوجهها، والتي توزع وتباع في شكل أقراص (مدمجة) وأشرطة وكتيبات دون أية رقابة، وتهدد استقرار التدين والمرجعية الدينية (المالكية) لدى المجتمع.

واعتبرت الصحف المحلية هذا الاقتراح ضمن "الخطوات

العملية لمواجهة المد السلفي"، في الوقت الذي تراجع انتشار الصوفية في الجزائر خلال تسعينات القرن الماضي بشكل ملحوظ مع بروز التيار السلفي، بحسب موقع إسلام أون لاين.

وذكر بريكة أن أسباب بروز التيار السلفي يرجع إلى أن المؤسسات الرسمية قصرت في تعاملها مع الزوايا؛ حيث لم تستثمر الطرق الروحية بكل ثقلها العالمي والاستراتيجي مثل الطريقة القادرية والتيجانية التي تحصي في صفوفها ٣٥٠ مليون صوفيا في العالم، بحسب زعمه.

وتأسف "بن بريكه" لمواصلة ما سماه استغلال الدول المجاورة وخاصة المغرب لهذه المؤسسات الروحية (الطرق الصوفية) الفاعلة ذات الولاء الهائل في أوساط مريديها، بينما تهمل الجزائر استثمار هذا المعطى الفاعل في حماية المرجعية الدينية ممّا سماه التطرف"، في إشارة للجدل الدائر بين المغرب والجزائر حول الطريقة التيجانية، ومحاولة كل دولة أن تنسب لها هذه الطريقة.

كما أكد على أن الجزائر عادت في السنوات الأخيرة لاستعادة دور وقيمة هذه الزوايا، مشيدًا بالجهود التي يبذلها الرئيس الجزائري "عبد العزيز بوتفليقة" منذ توليه الرئاسة عام (١٩٩٩)، من أجل "نفض الغبار عن الصوفية بفضل العناية الخاصة التي أولاها للتصوف وللزوايا".

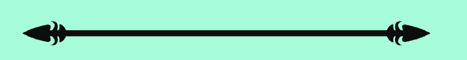
وجدد الدعوة للسلطات إلى "الإسراع بإنجاز المدينة الروحية التيجانية التي بإمكانها استقبال ٣٠ مليون سائح روحي سنويا".

وكان "بريكه" مسبقًا أبدى أسفه عن الاستغلال اللامشروع للجمعيات الوطنية للزوايا في كسب المال العام والوصول إلى المناصب العليا وانعدام الثقة بين المواطنين والمرجعية الدينية في الجزائر، كما أشار بن بريكة إلى توجه الدولة الجزائرية في تعاملها مع الطرق الصوفية والزوايا كبديل عمَّا سماه الفكر التطرفي الديني.

في الوقت نفسه صرح وزير الشؤون الدينية والأوقاف الجزائري بأن مد التيار السلفي بات يسيطر على عدد لا بأس به من المساجد، كما صار يسيطر على عدد كبير من المصليات الجامعية، بحسب بيان أصدرته مؤخرا مجموعة من التنظيمات الطلابية.

يذكر أن الطرق الصوفية قد لعبت دورًا هامًّا في تمكين "بوتفليقة" من تحقيق فوز ساحق في استحقاقات عام ٢٠٠٤، والحصول على ولاية ثانية.

(موقع إسلام أون لاين ٢٠٠٧/١٢/٢)



## ندوة مصرية تدافع عن "التجربة الصوفية في الشرق"



أقام مركز دراسة الحضارات المعاصرة برئاسة د. محمد هريدي ندوة حول "التجربة الصوفية في الشرق"، دافعت خلالها عن التصوف الشرقي، مدعية أنه قد يكون طوق النجاة لإنسان اليوم الممزق بين إنسانيته وروحه وبين مادية الحياة وقسوتها.

في بداية الندوة ذكر د. جمال المرزوقي أن الإنسان اليوم بحاجة إلى ما يرضي عقله ويشبع روحه ويعيد ثقته بنفسه، وطمأنينته التي بدأ يفقدها في زحمة الحياة المادية، وما فيها من ألوان الصراع العقدي المختلفة، ولهذا يحقق معنى إنسانيته.

وأضاف "التصوف" ليس هروبا من واقع الحياة كما يقول خصومه، وإنما هو محاولة من الإنسان للتسلح بقيم روحية جديدة تعينه على مواجهة الحياة المادية وتحقق له التوازن النفسي، حتى يواجه مصاعبها ومشكلاتها، وبهذا المفهوم يصبح التصوف ايجابيًّا لا سلبيًّا، ما دام يربط بين حياة الإنسان ومجتمعه.

كما قام د. بديع جمعة - أستاذ اللغات الشرقية بآداب عين شمس- بالتحدث عن أحد ممن سماهم أعلام التصوف، وهو فريد الدين العطار (٥٤٥ - ٦٢٧ هـ) يقول عنه: هناك العديد من الدراسات الأكاديمية المصرية التي اهتمت بفريد الدين العطار الصوفي الجليل، كانت أولاها الدراسة الرائدة للدكتور عبد الوهاب عزام "فريد الدين العطار"، "الهي نامه"، "مهيب نامه" من تذكرة الأولياء وغيرها.

وحول مكانة العطار أضاف د. جمعة: لازم فريد الدين العطار الإمام أبو حامد الغزالي فقد عاش في نيسابور والغزالي في طوس، والمسافة بينهما قريبة، كما شارك الغزالي في إعلان الحرب على الفلاسفة، وتعد منظومة الطير صدى لرسالة الطير عند الغزالي، وقصة الشيخ صنعات الواردة بمنطق الطير مأخوذة عن الفصل العاشر عن تحفه الملوك للغزالي".

وذكر أن العطار كان سني المذهب لذا قال عنه

"جارسان دي تاسي" مترجم "منطق الطير" إلى الفرنسية: كان العطار سنيًّا مناصرًا للخلفاء الثلاثة الأول وأفكاره السنية تبعد كثيرا من الفرس عن قراءة مؤلفاته.

هـذا، وتقـع منظومـة "منطـق الطـير" في (٤٦٠٠) بيـت، وتحكـي رحلة روحية تمثل الطيور فيها السالكين ويمثل "الهدهـد" دور المرشـد، وفيها يحكـي الصعاب التي تبعد السالكين عن مواصلة الطريق، وضياع بعضهم في متاهاته، فقد بدأ الرحلة آلاف الطيور لم يصل منها إلا ثلاثين طائرًا حتى يستطيع العطار أن يقابل بين هذا العدد وبين إله الطير والذي أطلق عليه اسم "سيمرغ"، وقد انتهى المسير حتى وصل الثلاثون طائرًا إلى مرحلة الغناء ثم تبعتها مرحلة البقاء بعد الغناء.

كما قدم د. جمال الدين سعيد - أستاذ اللغات الشرقية بآداب عين شمس- لشيخ الطريقة المولوية "جلال الدين الرومي"، والذي احتفل العالم الغربي وعلى رأسهم اليونسكو بمرور ثمانية قرون على مولده.

وزعم د. محمد السعيد أن العالم اليوم في أشد الحاجة إلى فكر "جلال الدين الرومي"، الذي انتقل به من الشريعة إلى الطريقة، فقد ولد عام ١٢٠٧ في بلخ، التي تقع في أفغانستان الحالية، وقد حدث التحول الكبير في حياته بعد مقابلته للتبريزي فترك التدريس والوعظ وانتقل إلى مرحلة أخرى من مراحل المعرفة أطلق عليها "العشق"، فلم يعد المقياس عنده العقل بل أصبح مقياسًا يتعدى العقل، لقد أدرك أن هناك بعدًا آخر من المعرفة اليقينية وهو بُعْد لا يقوم على المقاييس العقلية ولا ينهض على التظاهر الكاذب، بل يقوم على المحبة والمودة القائمة بين الله وعبده وبين العبد ومخلوقات ربه، على حد زعمه.

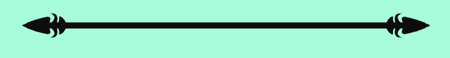
وفي آخر الندوة تحدث د. الصفصافي أحمد المرسي - أستاذ اللغات الشرقية بآداب عين شمس- "لرقصة السماء" عند المتصوفين وخاصة فرقة المولوية، مدعيًّا أنها مظهر من مظاهر مكالمة الحق ومحبته بالنسبة لأصحاب الحال والمقامات، فإنهم يستريحون بالسماع ويجدون فيه لذة روحية.

وذكر أن "رقصة السماء" الصوفية يمكن أن تكون خير سفير لنا في العالم كله لتقديم وجه روحي ومشرق للإسلام، ففي احتفال العالم بذكرى ميلاد جلال الدين الرومي قدمت فرقة المولوية التركية رقصة السماء في أمريكا حضرها الآلاف وقد سألت البعض منهم بعد نهاية الرقصة عن شعورهم فأجابوا: إنه إذا كان الإسلام بهذا النقاء الروحي، فالمؤكد أنه بعيد تماما عما حدث في الحادي عشر من سبتمبر في أمريكا! لذلك أتساءل: لماذا لا نقدم إسلامنا الحقيقي؟

يذكر أن أوّل من ابتدع بدعة ذكر الله تعالى بالرقص والغناء والتمايل والقفز هم اليهود وعبّاد الكواكب؛ حيث جاء في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة: ((ليبتهج بنو صهيون بملكهم ليسبّحوا اسمه برقص، بدفّ، وعود، ليرنّموا ... هلّلوا يا، سبّحوا الله في قدسه، سبّحوه برباب وعود وسبحوه برباب ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار، سبحوه بصنوج الهتاف)). اهـ (بدع الصوفية للطهطاوي ص ٥٨).

كما قال "أبو الفرج ابن الجوزي" رحمه الله: ولقد حدثني بعض المشايخ عن الإمام الغزالي رضي الله عنه أنه قال: "الرقص حماقة بين الكتفين لا ينعقد إلا باللعب، وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء، ويتشبّه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت".

شبكة الأخبار العربية (٢٠٠٧/١٢/٨)



## رحيل خليفة الطريقة "المريدية" في السنغال



الرئيس السنغالي يقبل يد مباكي

توفِّي خليفة "الطريقة المريدية" الصوفية مباكي بعد ظهر الجمعة عن ٩٢ عامًا، ودفن في اليوم ذاته بالمدينة المعروفة في السنغال باسم "مكة الصغيرة"، ولم تعلن وفاته رسميًّا إلا صباح السبت.

وأعلنت السلطات السنغالية الحداد الوطني لثلاثة أيام أثر وفاته، وأمر الرئيس عبد الله واد بإعلان "الحداد الوطني لثلاثة أيام" يتم خلالها "تنكيس الأعلام" بحسب بيان رسمي أذاعه التلفزيون الرسمي في السنغال.

وفي الوقت الذي غيّر التلفزيون الحكومي برامجه المعتادة ليذيع آيات قرآنية، وضعت السلطات ١٠٠ حافلة تحت تصرف المواطنين الذين يرغبون بالتوجه يومي الأحد والإثنين إلى مدينة طوبى - (٢٠٠ كم) شرق العاصمة دكار- التي دفن بها مباكي.

وينظر إلى مباكي على أنه المرشد الروحي للرئيس واد، وكان له كذلك نفوذ واسع في السنغال على الصعيدين السياسي والاقتصادي.

ومباكي الذي ولد بمدينة ديوربل (وسط) في ١٩١٥، كان الابن الأخير على قيد الحياة للشيخ أحمدو بامبا مباكي (١٨٥٣ - ١٩٢٧) مؤسس الطريقة المريدية الصوفية الذي نفاه الاستعمار الفرنسي إلى الغابون بين ١٨٩٥ و١٩٠٢، ثم إلى موريتانيا بين ١٩٠٣ و١٩٠٧ قبل أن يضعه قيد الإقامة الجبرية حتى وفاته.

وفي السنغال عدد من الطرق الصوفية، ولكن أشهرها وأوسعها انتشارًا هي الطريقة المريدية التي تأسست في عام ١٨٨٣، وصل انتشارها إلى دول أخرى في غرب إفريقيا، كما أن هناك عددًا من السنغاليين المقيمين في أوروبا وأمريكا من أتباع هذه الطريقة، وإلى جانب "المريدية" تشتمل السنغال على طرق صوفية أخرى هي "القادرية" و"التيجانية".

ويقول المتخصصون في الحركات الصوفية في غرب إفريقيا: إن الطريقة المريدية هي الطريقة الوحيدة في البلاد التي يرجع تأسيسها لشخصية سنغالية.

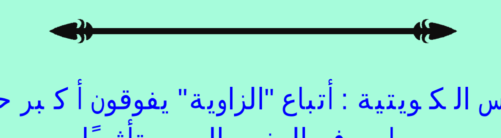
ويتوافد الآلاف من أتباع الطريقة سنويًّا على ضريح مؤسسها في مدينة طوبى من داخل السنغال ومن خارجها.

كما يتوافدون على مدينة "توبة" - حاضرة "المريدية"- التي أسسها "أحمدو بامبا" لتكون مركزا لدعوته، و تحولت بعد وفاته إلى ما يشبه المدينة المقدسة، وازدهرت على يد خلفائه حتى أصبحت تضاهي العاصمة داكار، تحولت إلى أحد أهم المراكز الاقتصادية في السنغال، بل إن بنيتها التحتية هي الأهم بعد العاصمة داكار، وازداد عدد سكانها حتى بلغ حاليا نصف مليون مواطن.

ويتوافد على "توبة" التي يصفها البعض بأنها "مكة الإفريقية"، مئات الآلاف سنويا من "المريدين" من مختلف مناطق السنغال، والدول المجاورة، إحياء لذكرى عودة "أحمدو بامبا" من منفاه، وتؤكد آخر الإحصائيات أن عدد الحجاج الذين وصلوا إلى "مكة الإفريقية" هذا العام بلغ مليون حاج.

وبرغم أن الطرق الصوفية تشتهر بإقامة احتفال سنوي في ذكرى مولد شيخها، إلا أن "المريدية" حافظت على تفردها بإقامة هذا الاحتفال الذي يسمى بـ"مجل توبة" أو "الحج العظيم" بلغة الولوف السنغالية، في ذكرى عودة شيخها من منفاه وليس ميلاده، وهو ما يحمل دلالات سياسية واضحة؛ حيث عرف عن "أحمدو بامبا" معاداته الشديدة للاستعمار الفرنسي.

وكالة الأخبار الموريتانية (٢٠٠٧/١٢/٣٠)



## القبس الكويتية: أتباع "الزاوية" يفوقون أكبر حزب سياسي في المغرب العربي تأثيرًا

ذكرت صحيفة القبس الكويتية في قضية للنقاش أنه غير صحيح أن الأحزاب أخذت مكان "الأعراش" و"الزوايا" أو همشت دورها في الحياة السياسية في الجزائر والمغرب وما يحيط بهما من أبناء العروبة الأفارقة، كما هو الحال في موريتانيا والصومال.

وأكدت أن "الزوايا" من أهم المؤثرات التي تفعل فعلها في الانتخابات الرئاسية في الجزائر، وهناك من يدعي أن الرئيس عبد العزيز بوتفليقة هو "ابن زاوية" قبل أي شيء آخر، من هنا تسعى الأحزاب السياسية لاستقطاب "الزاوية"؛ لأن استقطابها يعني ضمان الفوز بالانتخابات.

و"الزوايا"، وهو المصطلح الشائع في دول المغرب العربي، تعبير عن قوة الدين والطرق الصوفية المنتشرة هناك، وبحسب تقديرات البعض فإن عدد أتباع الطريقة التيجانية - على سبيل المثال- في العالم يصل إلى نحو (٤٠٠) مليون تيجاني، منهم (٤٠٠) ألف في المغرب وأكثر منهم في الجزائر، مما يظهر التأثير السياسي الذي تتمتع به "الزاوية" في صناعة الخرائط الانتخابية، وهذه الأرقام تبين أن حجم أتباع أي "زاوية" يفوق أعداد أكبر حزب سياسي، سواء في المغرب أم الجزائر، عمره يتجاوز خمسين سنة أو أكثر، أي منذ مرحلة الثورات ضد الاستعمار إلى الآن.

وأشارت القبس إلى أن التعصب لابن "الزاوية"، هو الصوت الأعلى والمسموع والمؤثر، كما تقوم الزوايا بأدوار الوساطة والتحكيم لدى مجموعات "الطوارق" التي تنشط في الجنوب الجزائري، بل وتهدد بانتزاع أراض جزائرية تدعي أحقيتها، وهي الأدوار ذاتها التي نجح فيها شيوخ ومقدمو "الزوايا" أثناء توسطهم بين الأوروبيين في بدايات القرن التاسع عشر وبين مجموعات "الطوارق" المسلحة التي كانت ترى في كل مستكشف أوروبي يقترب من أرض الصحراء مشروع مستعمر سيعود يوما لاحتلال أراضيهم.

و"الزوايا" الصوفية كما أشار الصحافي المغربي ادريس الكنبوري، ظلت عنصرا مركزيا يستند إليه "المخزن" - أي الحاكم- في تكريس نفوذه وبسط سلطته على البلاد، والأحداث الإرهابية التي وقعت في المغرب العربي خلال السنوات الأخيرة جعلت الدولة تراهن على جماهيرية "الزوايا" الصوفية في مواجهة الحركات الإسلامية المسيسة التي لجأت إلى العنف المسلح في مواجهة السلطة.

والطريقة التيجانية هي أبرز مثال على دور "الزوايا"، وهي ذات نفوذ كبير وواسع في القارة السمراء، والتيجانية نسبة إلى أبي العباس أحمد التيجاني، المولود في قرية عين ماضي في الجزائر عام (١٧٣٧)، والمتوفى في مدينة فاس المغربية عام (١٨١٥)، الذي تتلمذ على يد مشايخ عدة طرق صوفية، منها الزاوية الوزانية والدرقاوية والناصرية..

خلاصة الكلام على "الزوايا" و"العروشية" أنها باتت رقما صعبا في المعادلات الانتخابية والتحالفات السياسية، ومن خلال ارتباطاتها بمؤسسات الحكم تعمل السلطات والسياسيون على استمالتها وتوظيف إمكانياتها البشرية في العملية السياسية.

القبس (٢٠٠٧/١٢/٣٠)

## صوفية مصر لا يؤيدون التظاهر لدعم غزة



أعربت العديد من الطرق الصوفية بمصر عن رفضها لتنظيم تظاهرات تضامنية مع أهالي قطاع غزة، معتبرين أنها لا تحقق نتيجة إيجابية وإنما يمكن التعبير عن التعاطف مع الفلسطينيين من خلال تنظيم الندوات حول قضيتهم.

ففي تصريحات لـ"إسلام أون لاين.نت" الأحد (٩- ٣- ٢٠٠٨) أكد الشيخ محمد الشبراوي - عضو المجلس الأعلى للطرق الصوفية وشيخ الطريقة الشبراوية- رفضه القاطع لأي مظاهرات يتم تنظيمها من أجل أي قضية إسلامية أو عربية.

وقال: "نحن الصوفية، في وقت الشدة والقضايا الجسيمة مثل ما يحدث في غزة نترك القيادة السياسية تعمل وإذا كان لنا دور فلن يكون بالتحريض على المظاهرات".

وشنت إسرائيل عمليات عسكرية على قطاع غزة منذ أواخر فبراير الماضي أسفرت حتى الآن عن سقوط أكثر من ١٣٠ شهيدا، ربعهم تقريبا من الأطفال بالإضافة إلى جرح المئات.

وأوضح الشبراوي أنه "على مستوى الطرق الصوفية (١٢٠ طريقة تقريبا) يتم الاستنكار لأحداث غزة في كل الاجتماعات، لكننا تحت أمر القيادة كي لا نثير القلاقل، وحتى لا يقال إن الصوفية يثيرون مشاعر الناس".

وعن الموقف الرسمي الصوفي من العدوان الإسرائيلي على غزة أشار إلى أن المجلس الأعلى أصدر بيانا داخليا يدين العدوان، موضحا أن البيان تم نشره في مجلة "التصوف" باعتبارها لسان حال الصوفيين في مصر.

لكنه أشار إلى أن "هناك اتفاقا في المجلس على عدم تشجيع التظاهر خاصة أن هناك أصحاب نفوس ضعيفة قد يستغلون تلك المظاهرات لتخريب البلد أو إحداث ضر ر بالأمن العام".

والمجلس هو صاحب القرار الأول في عملية تنظيم العمل الصوفي في مصر، ويعد الجهة الرسمية المعبرة عن الصوفية أمام الجهات الرسمية والدولية، ويتبع المجلس ٧٤ طريقة.

### أولويات المساعدات:

الشيخ الشبراوي لم يكتف برفض التظاهر، بل أكد أيضا على أنه لا يستطيع أن يدعو الناس لتقديم الدعم المادي للفلسطينيين وسط الغلاء الذي يعيشه الشعب المصري، معبرا عن ذلك بقوله : "المواطن يشتري كيلو الزيت اليوم بـ١١ جنيها (دولارين تقريبا)".

ورسميا، تولي السلطات المصرية اهتماما كبيرا بأنشطة الطرق الصوفية وعلى رأسها الموالد، ويتمثل ذلك في إيفاد مندوبين عن كبرى مؤسسات الدولة لحضورها، كما أنها توفر لها عوامل النجاح أمنيا ودينيا وترعاها ماديا.

من جانبه رأى الشيخ محمود محمد أبو الفيض شيخ الطريقة الفيضية أن "التظاهرات عمل سياسي وأن الطرق الصوفية لا ينبغي أن تقحم نفسها في المسائل السياسية".

وحول كيفية التعامل مع قضية غزة على مستوى الطرق أوضح لـ"إسلام أون لاين أن "الدولة لها اتجاه (إشارة للرفض الرسمي للتظاهرات) ونحن نحترمه.. لكن يبقى هناك آراء شخصية لي كمواطن وليس كشيخ طريقة ومن خلاله أرى التعاطف مع غزة وتقديم الدعم لها".

واعتبر أن "التظاهر وسيلة من وسائل التعبير لكن هناك وسائل أفضل من التظاهر.. فالمظاهرات والعنف كلها أمور مرفوضة من قبل أي صوفي".

### ندوات فقط

أما الشيخ بهاء العناني شيخ الطريقة العنانية فأوضح أن الطرق الصوفية لديها توجه بعدم إصدار بيانات عامة وعدم المشاركة في تظاهرات تتعلق بمثل هذه الأحداث باعتبار أن مبادئهم تقتصر على الاكتفاء بتنظيم ندوات حولها.

ودعا من خلال إسلام أون لاين إلى ضرورة "تغيير موقف الطرق الصوفية الرافض للبيانات"، مشيرا إلى أن "هناك نشاطا تقوم به كل طريقة على حدة أو بالتنسيق مع طريقة أخرى من أجل إقامة ندوات لدعم قضايا مثل غزة.. ولذلك سيكون هناك قريبا ندوة صوفية حول غزة".

وأكد على ضرورة أن يكون هناك "بذل للجهود الممكنة لدعم الفلسطينيين، باعتبار أن القضية الفلسطينية موضوع وطني".

### كلام فارغ:

أما الشيخ علاء أبو العزايم شيخ الطريقة العزمية فاعتبر أن المظاهرات أمر غير معتبر في دعم غزة.

وقال لـ"إسلام أون لاين: "لا أؤيد المظاهرات لأن هذا كلام فارغ، ومصر وشعبها عليها الآن أن تقوم من نفسها كي تستطيع أن تقف بجانب شعب فلسطين، أما المظاهرات فلن تجدي شيئا".

وأشار إلى أن "موقف الطرق الصوفية تجاه قضية مثل غزة ليس موحدا.. فالطريقة العزمية هي الوحيدة التي قدمت دعما يقدر بـ٣٠ ألف جنيه (٥,٥ آلاف دولار) لغزة باسم مشيخة الطرقة الصوفية".

وعن وسائل الدعم الصوفي الأخرى أوضح أنه "من المقرر أن تقام ندوات صوفية عن فلسطين"، إلا أنه أعرب عن اعتقاده بأن "مثل تلك الندوات لن يكون لها تأثير إيجابي، ولكنها تعد متنفسا لما يريد أن يقوله الناس".

وأشار أبو العزايم إلى عدم وجود تنسيق في أي قضية بين الطرق، معتبرا أن "المجلس الصوفي الجديد معرقل لأية جهود من أجل تفعيل مشاركة الطرق في قضايا الأمة وجعلها حاضرة دائما".

وتصنف تحليلات بعض المراكز البحثية الأمريكية الصوفيةَ في خانة "الإسلام المعتدل"، وتدعو الغرب إلى تشجيعها ورعايتها باعتبارها تنبذ العنف ولا تتبنى التطرف.

إسلام أون لاين